عصمة النبي ﷺ والأنبياء

الشيخ الدكتور
سمير بن أحمد الصباغ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عصمة النبي ﷺ والأنبياء

كتبه الفقير إلى عفو ربه الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

مؤسسة القلم
لتحقيق التراث والبحث العلمي

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ نبينا محمد ﷺ، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه رسالةٌ مختصَرةٌ وموجَزةٌ في بيانِ عصمةِ الأنبياءِ مِن لدنِ آدمَ ﷺ إلى نبيِّنا محمدٍ ﷺ وبيانِ المسائلِ التي في ظاهرِها القدحُ في هذه العصمةِ، والردِّ على المُغرِضين الطاعِنِين في الأنبياءِ والرسلِ كاليهودِ والنصارى والزنادقةِ والملاحِدةِ.

وسنُبيِّنُ في هذه الرسالةِ- بمشيئةِ اللهِ تعالى- عصمةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ قبلَ بعثتِه وبعدَ بعثتِه من الذنوبِ والدنايا مع بيانِ معنى الآياتِ الآمِرةِ له بالاستغفارِ وبيانِ معنى الذنبِ في حقِّه ﷺ، وكذلك نبينُ ما ورد من ذلك في حقِّ الأنبياءِ كآدمَ ﷺ حينَ أكَلَ من الشجرةِ، وإبراهيمَ ﷺ، وبيانِ معاني الكذباتِ الثلاثةِ، وموسى ﷺ في قصةِ قتلِه للقبطيِّ، ويوسفَ ﷺ وامرأةِ العزيزِ في معنى الهم المذكور في القرآن، ولوطٍ ﷺ في قولِه: {لوأن لي بكم قوةً أو آوي إلى ركنٍ شديدٍ}، ويونسَ ﷺ في قولِ الله: {إذ ذهب مغاضِبًا فظنَّ أن لَّنْ نقدِرَ عليه}، ونحوِ ذلك مما يوهِمُ طعنًا في عصمةِ الأنبياءِ ﷺ.

فالأنبياءُ هم خيرُ الخلقِ، وهم القدوةُ الذين اصطفاهم اللهُ، وأمَرَنا بالاقتداءِ بهم، ولذلك عصَمَهم اللهُ من الشِّركِ والكفرِ والرِّدةِ، وسوف نبينُ ذلك بعونِ اللهِ في المباحثِ الآتية، نسألُ اللهَ الإخلاصَ والقبولَ وصلى اللهُ وسلمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تمهيد

أولًا: تعريفُ العصمةِ لغةً واصطلاحًا

للعِصْمةِ عدةُ معانٍ في اللغةِ:

١- **تأتي العِصمةُ بمعنى المنع**، يقال: عصَمَه مما يُوبِقُه؛ أي: منَعَه ووقاه[١]، قال اللهُ عن ولدِ نوحٍ أنه قال: {سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ} [هود:٤٣]؛ أي: يمنَعُني من الغرقِ، وقال اللهُ عن امرأة العزيز: {وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} [يوسف:٣٢]؛ أي: فامتنع، وجاء في الحديثِ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فمَن قالَهَا فقَدْ عصَمَ منِّي مالَه ونفسَه**»[٢]؛ أي: منع منِّي مالَه ونفسَه، وسُمِّيَتْ العِصمةُ عِصمةً؛ لأنها تمنَعُ من ارتكابِ المعصيةِ، قال اللهُ لنبيِّه ومصطفاه: {وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:٦٧]؛ أي: يمنعُك، ويحميك من الفشلِ ومن شرِّهِم.

---

[١] لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٣٠٤).

[٢] أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).

٢- **العصمةُ بمعنى الحِفظ**: فيقال: عصَمَه الله؛ أي: وقاه وحفِظَه من المكروهِ، واعتَصَمْتُ باللهِ؛ أي: الْتجَأْتُ إليه[١].

٣- **العِصمةُ تأتي بمعنى القِلادةِ**، وهي شِبهُ السِّوارِ على الساعدِ، وتُسمى بالمِعصَمِ.

٤- **العصمةُ تأتي بمعنى الحبلِ** الذي يُمسَكُ به الشيءُ، وكلُّ ما أمسكَ بالشيءِ فقد عصَمَه[٢].

ثانيًا: العصمةُ اصطلاحًا: هي حفظُ اللهِ لأنبيائِه ورُسُلِه من الوقوعِ في الذنوبِ وارتكابِ المنكَراتِ والمحرَّماتِ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: وعصمةُ الأنبياء: حفظُهم من النقائصِ، وتخصيصُهم بالكمالاتِ النفسيةِ، والنُّصرةِ والثباتِ وإنزالِ السَّكِينة، والفرقُ بينهم وبين غيرِهم أن العصمةَ في حقِّهم بطريقِ الوجوبِ، وفي حقِّ غيرِهم بطريقِ الجواز[٣].

---

[١] لسان العرب (١٢/ ٤٠٣).

[٢] تاج العروس (١/ ٩).

[٣] فتح الباري (١١/ ٤٥٤).

فتبيَّنَ مما سبق توافُقُ المعنى اللغويِّ بكلِّ ما ورد فيه مع المعنى الاصطلاحيِّ، فكلُّ المعاني اللغويةُ للعصمةِ ترجعُ إلى المعنى الأولِ؛ وهو المنعُ؛ فالحفظُ منعٌ للشيءِ من الوقوعِ في المكروهِ أو المحظور، والقلادةُ تمنعُ من سقوطِ الخَرَزِ منها، والحبلُ يمنعُ من السقوطِ أو النزولِ.

ثالثًا: الحِكمةُ من عصمةِ الأنبياءِ لزومًا

لا بدَّ أن يكونَ الأنبياءُ والرسلُ معصومين بالشرعِ والعقلِ للآتي:

١- الأنبياءُ والرسلُ هم القدوةُ الحسَنةُ والمثلُ الأعلى للبشرِ الذين يَقتدِي بهم غيرُهُم، فجميعُ الخلقِ المكلَّفين مأمورون باتباعِهم والاقتداءِ بهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}، فلا بدَّ أن يكونوا معصومين؛ إذ كيف يُقتدَى بغيرِ معصومٍ؟! ولو لم يكونوا غيرَ معصومين فلا مَزيَّةَ لهم عن غيرِهم، وكان الأخذُ عنهم كالأخذِ عن غيرِهم.

٢- إذا لم يكنِ الأنبياءُ والرسلُ معصومين، وكانوا أصحابَ ذنوبٍ ومعاصٍ، فهل سيكونُ لهم ولكلامِهم أثرٌ في نفوسِ المتَّبِعين إذا كانوا- عياذًا باللهِ- ملوَّثين بالمُوبِقاتِ، فهل يصلُحُ أن يكونوا قدوةً يُقتدَى بهم؟!

القولُ بعدمِ عصمتِهم يُفضِي إلى القدحِ في دعوتِهم وفي تبليغِهم الرسالةَ وإمكانِ نسبةِ الخطأِ إليهم، أو الكذبِ، أو الزيادة، أو النقص في التشريع، وهذا مُحالٌ وغيرُ معقولٍ فيمن اصطفاهم اللهُ وأمرَ بأن يُقتدَى بهم في كلِّ أقوالِهم وأعمالِهم.

إذن فلا بدَّ من القولِ بعصمتِهم من الكفرِ والشِّركِ والبدعِ والكبائرِ- وكذا الصغائر- اتفاقًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

عصمة النبي محمد ﷺ

النبيُّ ﷺ كان معروفًا بأنه الصادقُ الأمينُ قبل بعثتِه، ولم يثبت أبدًا أنه ارتكبَ صغيرةً ولا كبيرةً قبلَ ولا بعدَ بعثتِه، وإليك البيانَ على عِصْمتِه قبلَ النبوَّة:

١- شهادة المشركين من قريش والعرب له بالعِصمة من الكذب والخيانة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} [الشعراء:٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ**»؛ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢﴾ [المسد من١:٢] (١).

وذكر ابنُ القيمِ في كتابِه: «هداية الحيارى» أنَّ المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمةَ- وهو ابنُ أختِ أبي جهلٍ- قال لأبي جهلٍ: يا خالي، هل كنتم تتَّهِمون محمدًا بالكذِبِ قبلَ أن يقولَ ما قال؟ فقال: يا بنَ أختِي، والله، لقد كان محمدٌ صلى الله عليه و سلم فينا وهو شابٌّ يُدْعَى الأمينَ، فما جرَّبْنا عليه كَذِبًا قطُّ. قال: يا خال، فما لكم لا تتَّبِعونه؟ قال: يا بنَ أُختِي، تَنَازَعْنَا نحنُ وبنو هاشمٍ الشرفَ، فأطعَموا وأطعَمْنا، وسَقَوا وسَقيْنا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركبِ وكنا كفَرَسَيْ رِهانٍ، قالوا: مِنا نبيٌّ، فمتى نُدرِكُ مثلَ هذه(٢)؟!

٢- شهادةُ زوجِه خديجةَ رضي الله عنها له بمكارمِ الخيرِ كلِّها، حينما كان يتعبَّدُ في غارِ حِراءَ، ونزل عليه جبريلُ عليه السلام، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٨).

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص ٤١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتَ العَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١]- **حَتَّى بَلَغَ** - {عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥]» فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ: «**يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي**» وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، وَقَالَ: «**قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**»، فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ، لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ

الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ[١].

٣- عصمة الله له قبلَ بعثتِه من حضور مجالس اللغو والمعاصي أو التعري وكشف العورات ونحو ذلك:

فعن عليٍّ ﷺ قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللهُ مِنْهُمَا، قُلْتُ لَيْلَةً لِفتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لِأَهْلِنَا نَرْعَاهَا: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي، حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ. قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غِنَاءً وصَوْتَ دُفوفٍ وَمَزَامِيرَ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ. لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تزوَّج امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ. فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ وَبِذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ فَعَلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ

---

[١] أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي مِثْلُ مَا قِيلَ لِي، فَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعْتُ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ لِي: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فعلتُ شَيْئًا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَوَاللهِ، مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُما بِسُوءٍ مِمَّا يعملُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أكرَمَني اللهُ بِنُبُوَّتِهِ»[١].

- وعن جَابِرِ بْن عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنَ الحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «إِزَارِي إِزَارِي، فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ».

فما رُؤِيَ بعدَ ذلكَ عُرْيَانًا[٢].

---

[١] أخرجه ابن حبان (٦٢٧٢)، والحاكم (٧٦١٩)، وصححه الحافظ وابن حجر في المطالب العالية (٤٢٥٩)، وابن حزم في الملل والنحل (٢/ ٣٢١) والقاري في شرح الشفا (١/ ٢٩٩)، وغيرهم.

[٢] أخرجه مسلم (٣٤٠) والبخاري (١٥٨٢).

٤- عصمة الله له من أكل الميتة وما ذبح على النُّصُب لغير الله:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلَا آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ[1].

٥- عصمتُه ﷺ من الطوافِ حولَ الأصنامِ والأضرحةِ: لم يكن النبيُّ ﷺ يطوفُ حولَ الكعبةِ إلا للهِ تعالى، وكانت الأصنامُ منصوبةً حولَ الكعبةِ، منها صنمانِ من نُحاسٍ يُسمَّيانِ: إسافًا ونائلةَ، يتمسَّحُ بهما المشركون إذا طافوا حول الكعبةِ، فلما أرادَ زيدُ بنُ حارثةَ التمسُّحَ بهما وهو يطوفُ مع رسولِ اللهِ ﷺ قبلَ البعثةِ قال له النبيُّ ﷺ: «**لَا تَمَسَّهُ**»، قال: فَطُفْنا، فقلتُ في نفسي:

---

[1] أخرجه البخاري (٣٨٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَأَمَسَّنَّه؛ حتى أنظرَ ما يقولُ، فمسَحْتُه. فقال رسول الله ﷺ: «**أَلَمْ تُنْهَ؟**». قال زيد: فوالذي أكرَمَه وأنزل عليه الكتابَ، ما استلمْتُ صنمًا حتى أكرَمَه اللهُ بالذي أكرمَه وأنزلَ عليه الكتابَ[١].

٦- بغضُه ﷺ لعبادةِ الأوثانِ والحلفِ بِها:

فقد ورد في سيرةِ ابنِ إسحاقَ أنَّ النبيَّ ﷺ حينما سافرَ معَ عمِّه أبي طالبٍ للشامِ، ولقي بَحيرى الراهبَ، وحلفَ بَحيرى باللاتِ والعُزَّى كما يحلفُ العربُ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**لا تَسأَلْنِي باللاتِ والعُزَّى شيئًا، فواللهِ ما أبغَضْتُ بُغضَها شَيئًا قَطُّ**»[٢].

وعن عروةَ بنِ الزبير قال: حدَّثَني جارٌ لخديجةَ بنتِ خُوَيْلِدَ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ لخديجةَ: «**أيْ خَدِيجةُ، واللهِ لا أَعْبُدُ اللَّاتَ أَبَدًا، واللهِ لَا أَعْبُدُ العُزَّى أَبَدًا**»[٣].

---

[١] انظر: صحيح السيرة النبوية، للألباني (ص٣٢)، وقال: إسناده حسن.

[٢] انظر: سيرة ابن إسحاق (١/ ٧٥)، ودلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٠): رجاله رجال الصحيح.

[٣] أخرجه أحمد (١٧٨٧).

٧- عصمة الله له بِشَقِّ صدرِه وهو صغيرٌ ابنُ أربعِ سنينَ لإخراجِ حَظِّ الشيطانِ من قلبِه، فيكونُ قلبُه سليمًا نقيًّا خالصًا لربِّه معصومًا من الوقوعِ في المعاصي:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ»، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ»[1].

---

[1] أخرجه مسلم (٢٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتكرر ذلك مرةً ثانيةً وهو ابنُ عشرِ سنين، كما رواه عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ في زوائِدِهِ على المسندِ عن أبي هريرةَ ﷺ، وحسَّنَه الهيثميُّ[١].

ثم تكرر ذلك مرةً ثالثةً عند مبعثِه للنبوةِ لإعدادِ قلبِه لتحمُّلِ الرسالةِ، كما رَوَتْهُ أُمُّنا عائشةُ رضي الله عنها، وحسَّنَه الحافظُ في «الفتحِ»[٢].

ثم تكرَّر ذلك مرةً رابعةً في ليلةِ الإسراءِ والمِعراجِ تأهُّبًا لمناجاةِ ربِّه عزَّ وجلَّ والمثولِ بين يدَيْهِ، واستِعدادًا لما يُلقَى إليه من سائِرِ أنواعِ الفُيوضاتِ الإلهيةِ والآياتِ الربانية[٣].

---

[١] أخرجه عبد الله بن أحمد في المسند (١٣٩/ ٥)، وأبو نعيم في الدلائل برقم (١٦٦)، والدارَمي برقم (١٣)، والحاكم (٣٩٤٩) وحسَّنه الهيثمي.

[٢] أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٦٣)، والطيالسي برقم (١٥٣٩) وحسَّنه الحافظُ في الفتح (١٣/ ٤٨٩).

[٣] أخرجه مسلم برقم (٢٦٣) والبخاري (٣٣٤٢)، رد شبهات حول عصمة النبي، د/ عماد الشربيني، دار اليقين ط ١ سنة ٢٠٠٨ (ص ٩٥-٩٨).

٨- عصَمَه اللهُ تعالى بكمالِ أخلاقِه ﷺ وكمالِ عقلِهِ:

فقد كان ﷺ قبل البعثة كريمَ الأخلاقِ في فقرِهِ قبلَ زواجِه من خديجةَ ﷺ، وفي غِناه بعد زواجِه من خديجةَ، لم يزِدْه الغِنى إلا كَرَمًا وأَدَبًا وحياءً وزُهدًا وتواضُعًا.

وأما كمالُ عقلِه وفطنتُه وبصيرتُه فهو المعروفُ بالصادقِ الأمينِ العدلِ في تعامُلاتِه وقضائِه بين الناسِ.

ومن ذلك على سبيلِ المثال:

١-قبلَ بعثتِه بخمسِ سنواتٍ:

هَدَمتْ قريشٌ الكعبةَ وجَدَّدَتْ بناءَها، ثم اختلفوا فيمَن يضعُ الحجرَ الأسودَ في مكانِه حتى كادوا يقتتِلون، فأشارَ عليهم أبو أميةَ بنُ المغيرةِ بأن يحكِّموا بينهم أولَ داخلٍ مِنَ الباب، فكان النبيَّ محمدًا ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمينُ رَضِينا، هذا محمدٌ- أي: رَضِيناه حَكَمًا بينَنَا- فلما انتهى إليهم أخبروه الخبرَ، فقال ﷺ: «**هَلُمَّ إليَّ ثوبًا**»، فأُتِي به، فأخذَ الركنَ- أي: الحَجَر- فوضعَه فيه بيدِه، ثم قال: «**لِتَأْخُذْ كُلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوبِ، ثم ارفعَوه**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جميعًا»، ففعلوا، حتى إذا بلغوا مَوْضِعَه، وضَعَه هو بيدِهِ، ثم بُنِيَ عليه[١].

وأما عِصمتُه ﷺ بعد بعثَتِه فالواقعُ خيرُ شاهدٍ على ذلك، فلا يُعلَمُ لرسولِنا ﷺ ذنبٌ يؤاخَذُ به، أو جنايةٌ يُعاقَبُ عليها، وقد شهِدَ له القرآن بذلك، فقد زكَّى اللهُ ﷻ قلبَه ولسانَه وجوارحَه ﷺ؛ بل وعصَمَه في جسدِه كما عصَمَه في عقلِه، وهذه بعضُ الأدلةِ:

١-عصمتُه في عقلِه وجسدِه من إبليسَ وجنودِه:

قال اللهُ تعالى مخاطِبًا إبليسَ: {إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾} [الحجر:٤٢]، وقال إبليسُ مُقَرِّرًا ذلك: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾} [ص: ٨٢-٨٣].

ومن المعلومِ أنه ليس هناك أفضلُ ولا أخلصُ من الأنبياءِ والرسلِ، وعلى رأسِهم سيدُ الخلقِ محمدٌ ﷺ، فلا سلطانَ

---

[١] أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٥)، السيرة لابن هشام (١/ ٢٥٢)، طبقات ابن سعد (١/ ١٤٦)، والحاكم في المستدرك برقم (١٦٨٣).

للشياطينِ عليه، حتى وإنْ تسلَّطَ شيطانٌ من الشياطينِ على نبيٍّ من الأنبياءِ بالوسوسةِ في خاطِرِه أو ببعضِ الأذى في جسدِه فلن يُمَكِّنَهم اللهُ من الإغواءِ ولا من إلحاقِ الضررِ به في دينٍ أو دنيا.

فقد أمكَنَ اللهُ نبيَّه ﷺ من القَرينِ من الجنِّ فأسلمَ على يديه، فلا يأمُرُه إلا بخيرٍ، وسلَّمَه اللهُ من شرِّه، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ**»، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِيَّايَ، إِلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**»[1].

ولمَّا أرادَ عدوُّ اللهِ إبليسُ أن يُحرِقَ وجهَ النبيِّ ﷺ بشهابٍ من نارٍ أمكَنَه اللهُ منه، وخنَقَه ودفعَه دفعًا شديدًا، ولولا اختصاصُ اللهِ نبيَّه سليمانَ بتسخيرِ الجنِّ لَرَبَطَه النبيُّ ﷺ في ساريةِ المسجدِ يلعبُ به الصبيانُ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ**» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ

---

[1] أخرجه مسلم (٢٨١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ؛ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ**»، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ[1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ، قال: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللهَ أَمْكَنَنِي مِنْهُ فَذَعَتُّهُ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ- أَوْ كُلُّكُمْ- ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: {قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾} [ص:٣٥]، فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا**»[2].

---

[1] أخرجه مسلم (٥٤٢).

[2] أخرجه مسلم (٤٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَدَّثنا أَبُو التَّيَّاحِ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَنْبَشٍ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ؟ قَالَ: جَاءَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الأَوْدِيَةِ، وَتَحَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَالِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةُ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ يَحْرِقَ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَرَعَبَ، قَالَ جَعْفَرٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ: جَعَلَ يَتَأَخَّرُ، قَالَ: وَجَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ. قَالَ: «**مَا أَقُولُ**»؟ قَالَ: قُلْ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ**»، فَطَفِئَتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[1].

---

[1] أخرجه أحمد (١٥٤٦٠)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ٩٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٩٩٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢-عصمتُه ﷺ في أخلاقِه:

ما مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ إلا اتَّصفَ بكمالِه رسولُ اللهِ محمدٌ ﷺ، وكان له منه أوفرُ الحظِّ والنصيب، فهو الذي قال: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»[1].

وقد شهِد اللهُ له وزكَّاه بعظيمِ أخلاقِه، وكفى باللهِ شهيدًا، فقال سبحانه: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤} [القلم:٤].

وبشهادةِ المسلمين والكافرين والمنافقين أنه ﷺ كان عظيمَ الأخلاقِ، وليس له دنيَّة.

٣-عصمتُه ﷺ من الضلالةِ والغواية:

كان ﷺ إمامَ المتقين وسيدَ الأنبياء و المرسلين، قال اللهُ عنه مُزَكِّيًا إياه: {وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣} [النجم:١-٣].

٤- عصمةُ لسانِه ﷺ من الزَّللِ:

حيث قال اللهُ عنه: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ

---

[1] أخرجه أحمد (٨٩٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥}، فهو مؤيَّدٌ من اللهِ عز وجل بالوحيِ المنزَّلِ من الله، وبالمَلَكِ جبريلَ عليه السلام.

٥- تزكيةُ اللهِ له دليلٌ عِصمتِه:

فقد زكَّاه اللهُ في عقلِه فقال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ}.

وزكَّاه في بصرِهِ فقال: {مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧}.

وزكَّاه في لسانِه فقال: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ}.

وزكَّاه في فؤادِه فقال: {مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١}.

وزكاه في صدرِه فقال: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١}.

وزكَّاه كلَّه فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤}.

٦-عصمتُه ﷺ في بدنِه من القتل:

الأنبياءُ والرسلُ بشرٌ يَعتريهِم ما يعتري البشَرَ من أنواعِ البلاءِ كالمرضِ والألمِ والجوعِ والفقرِ أحيانًا والعطشِ والغضبِ والتعبِ والضعفِ والموتِ، وذلك لِيتحقَّقَ بامتحانِهم بشريَّتُهم، ولا يضِلُّ الناسُ فيهم كما ضلَّ النصارَى في المسيحِ، واليهودُ في عُزَيرٍ، ولِيَظْهرِ شرفُهُم وعلوُّ درجتِهم، كما قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴿٣١﴾} [محمد: ٣١].

ولكى تتأسَّى بهم أُمَمُهم في الصبرِ على البلاءِ والشكرِ والرِّضا والتسليمِ والتوكلِ ونحوِ ذلك.

وقد تعرَّضَ بعضُ الأنبياءِ للقتلِ، كما فعلتِ اليهودُ ببعضِ أنبيائِهم؛ حيث قال اللهُ عنهم: {وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ} {وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}، وقال اللهُ تعالى: {وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾} [آل عمران: ٢١].

ولكنَّ نبيَّنا محمدًا ﷺ عصَمَه اللهُ من القتلِ مهما حاولَ الأعداءُ فلن يصِلوا إليه؛ لأنَّ اللهَ عصَمَه، فقد حاولَ أهلُ مكةَ قَتْلَه، وجعلوا مِئةَ ناقةٍ هديةً لِمَن يقتُلُه أو يأتيهم به حيًّا؛ ليقتلوه، فأنجاه اللهُ بتمامِ هِجرتِه إلى المدينة، وقد حاول اليهودُ قتلَه واغتيالَه مِرارًا وتَكرارًا، ووضَعوا له السُّمَّ في الشاةِ، فعصَمَه اللهُ من القتلِ، وحاول المشركون في غزوةِ أُحُدٍ وغيرِها وعصَمَه اللهُ وأنجاه.

فعن عائشةَ ﵂ قالت: كان النبيُّ ﷺ يُحرَسُ حتى نزلتْ هذه الآيةُ: {وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ}، فأخرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ رأسَه من القُبَّةِ، فقال لهم: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْصَرِفُوا، فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ**»[1].

وهذه العصمةُ كانت في مكةَ قبلَ الهجرةِ وفي المدينةِ بعد الهجرةِ حتى لقِيَ ربَّه جلَّ وعلا، وهذه بعضُ النماذجِ على عصمةِ اللهِ له من القتلِ ونحوِه:

١- فعن أبي هريرةَ ﵁ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأُ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**».

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٠٤٦)، وحسَّنه الحافظُ ابنُ حجرٍ في الفتح (٦/ ٦٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ - لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ-: {كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩} [العلق: ٦-١٩].

زَادَ عُبَيْدُ اللهِ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ: وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ. وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} [العلق: ١٧]؛ يَعْنِي: قَوْمَهُ[١]، وفي رواية: قال النبيُّ ﷺ: «**لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا**»[٢].

٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد: ١] جَاءَتِ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: لَوْ تَنَحَّيْتَ لَا تُؤْذِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

---

[١] أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

[٢] أخرجه البخاري (٤٩٥٨)، والترمذي (٣٣٤٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ﷺ: «**إِنَّهُ سَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا**»، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ: هَجَانَا صَاحِبُكَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَرَبِّ هَذِهِ الْبِنْيَةِ مَا يَنْطِقُ بِالشِّعْرِ وَلَا يَتَفَوَّهُ بِهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَمُصَدَّقٌ فَلَمَّا وَلَّتْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: مَا رَأَتْكَ قَالَ: «**لَا، مَا زَالَ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي حَتَّى وَلَّتْ**»[1].

٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ، فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى، وَنَائِلَةَ وَإِسَافٍ: لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا، لَقَدْ قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ ﵂ تَبْكِي، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ، لَوْ قَدْ رَأَوْكَ، لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ. فَقَالَ: «**يَا بُنَيَّةُ، أَرِينِي وَضُوءًا**»، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمِ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ، قَالُوا: هَا هُوَ ذَا، وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ،

---

[1] أخرجه البزارُ (١٥) وحسَّن إسنادَه، وابنُ أبي شيبةَ رقم (٣٢٤٢٨)، وحسَّنه الحافظُ في الفتح (٨/ ٦١٠)، وابنُ كثيرٍ في التفسيرِ (٨/ ٥٣٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى قَامَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَقَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**»، ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا، فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا[1].

٤- وعن ابن عباس ﷺ: فِي قَوْلِهِ: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ}، قَالَ: تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ، فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا، يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا، رَدَّ اللهُ مَكْرَهُمْ، فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ

---

[1] أخرجه أحمد (١/ ٢٤٨) وصححه الشيخ شاكر (٢٧٦٢-٤٣٨٥).

خُلِّطَ عَلَيْهِمْ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ، فَمَرُّوا بِالْغَارِ، فَرَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ، فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَ هَاهُنَا، لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى بَابِهِ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ[1].

٥- وعن أبي بكر ﷺ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، حَدَّثَهُ قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ : «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»[2].

٦- قصةُ سُراقةَ بنِ مالكٍ ﷺ في محاولتِه قتلَ الرسولِ ﷺ أو النيلَ منه أو القبضَ عليه، وعصمةُ اللهُ لنبيِّه ﷺ، مشهورةٌ وثابتةٌ بالسندِ الصحيحِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ

---

[1] أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨) وحسَّنه الحافظُ في الفتح (٧/ ٢٧٨)، وحسَّنه ابنُ كثيرٍ في البداية والنهاية، وقال: هذا إسنادٌ حَسَن، وهو من أجودِ ما رُوِي في قصةِ العنكبوتِ على فمِ الغار، وذلك من حمايةِ اللهِ لرسولِه ﷺ (٣/ ١٧٩).

[2] أخرجه البخاري (٣٩٠٦)، ومسلم (٢٠٠٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلَامَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ[1].

---

[1] أخرجه البخاري (٤١٣٥)، ومسلم (٨٤٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- **وأما عن عصمةِ اللهِ لنبيِّه ﷺ بعدَ الهجرةِ بالمدينةِ حتى وفاتِه فمعروفةٌ مشهورةٌ، ومِن ذلك على سبيل المثالِ:**

١- حَدَّثنا عَبْدُ اللهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثنا عَفَّانُ، حَدَّثنا أَبُو عَوانَةَ، حَدَّثنا أَبُو بِشْرٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ. قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَلَّا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ[1].

٢- خيانة يهودِ بني النَّضِير بأن يقتلوه بطرح الرَّحَى عليه وهو جالسٌ عندهم، فجاء جبريلُ عليه السلام فأخبره، فقام وتبعه أبو بكرٍ وعمرُ وعليٌّ رضي الله عنهم[2].

---

[1] أخرجه ابن جرير في التاريخ (٥٥١-٥٥٢)، وابن هشام في السيرة (١٣١٣).

[2] أخرجه البخاري (٤١٣٦-٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَنْ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، زَادَ: فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا، وَأَكَلَ الْقَوْمُ، فَقَالَ ﷺ: «**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ؛ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ**»، فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ: «**مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ؟**». قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ[1].

٤- وقد وردت محاولاتٌ كثيرةٌ لقتلِ النبيِّ ﷺ، وقد عصَمَه اللهُ وأنجاه؛ بل كانت سببًا في إسلامٍ وإيمانِ أصحابِها، منها ما ورد من حديثِ سلمةَ بنِ الأكوعِ، وجعدةَ بنِ خالدِ بن الصِّمَّة، وفَضَالةَ بنِ عميرٍ الليثيِّ، وحذيفةَ بنِ اليمان[2].

---

[1] أخرجه أبو داود (٤٥١٢)، وصححه الألباني.

[2] انظر: السيرة لابن هشام (٤/ ٤١-٤٠ رقم ١٦٩٢)، والمسند (٣/ ٤٧١)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٦٠)، والطبراني في الكبير (٨١٠٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني
مسائل حول عصمة النبي محمد ﷺ

أسئلةٌ حولَ العصمةِ والجوابُ عليها:

١ - ما معنى الضلالِ المنسوبِ للنبيِّ ﷺ في القرآنِ الكريم، في قولِه تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧} [الضحى:٧]، وقوله تعالى: {قُلۡ إِنِ ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ۝٥٠} [سبأ:٥٠]؟

الجواب:

الضلالُ يأتي في اللغةِ العربيةِ بعِدَّةِ معانٍ على النحوِ الآتي:

أ- الضلال بمعنى الكفر: كما في قولِه سبحانه: {وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ۝٦٢} [يس:٦٢]، وقولِه: {صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧} [الفاتحة:٧].

ب- الضلال بمعنى النِّسيان: كما في قولِه سبحانه: {أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ} [البقرة:٢٨٢]؛ يعني: أن تنسى إحداهما فتذكِّرَ إحداهما الأُخرى.

جـ- **الضلال بمعنى الغفلة:** كما في قولِه تعالى على لسانِ موسى عليه السلام في القتلِ الخطأ: {فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾} [الشعراء:٢٠]؛ أي: من الغافلين، وكقولِه تعالى: {فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾} [طه:٥٢]؛ أي: لا يغفُلُ ولا يسهو سبحانه وتعالى.

د- **الضلال بمعنى المحبَّة الشديدة:** كما في قولِه تعالى عن إخوةِ يوسُفَ ومحبةِ أبيهم يعقوبَ ليوسُفَ: {إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾} [يوسف:٨]؛ أي: في حبٍّ شديدٍ ليوسفَ، وقولِهم لأبيهم: {قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾} [يوسف:٩٥].

وكذلك في قولِ النِّسوةِ في حبِّ امرأةِ العزيزِ لِيوسُفَ: {۞وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾} [يوسف:٣٠]؛ أي: في حبٍّ شديدٍ لِيوسُفَ عليه السلام.

وبناءً على ما سبق:

معنى قولِه تعالى في حقِّ النبيِّ ﷺ: {وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾} [الضحى:٧]؛ أي: وجدك طالبًا للهدايةِ مُحِبًّا لها فهداكَ إليها، وهذا هو

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الواقعُ بدليلِ تَعَبُّدِه ﷺ في غارِ حِراءَ الليالِيَ ذواتِ العددِ، وخلوتِه بربِّه حتى نزل عليه جبريلُ بالوحيِ، وبدليلِ عصمتِه وحُسنِ أخلاقِه وعظيمِ شمائِلِه قبلَ بعثتِه ﷺ وبعدَها.

ومعنى قولِه سبحانه: {قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾} [سبأ:٥٠]، جاءت هذه الآيةُ بعدَ قولِ اللهِ تعالى: {قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾} [سبأ:٤٩]؛ أي: اضمحَلَّ الباطلُ، وبطلَ أمرُهُ، وذهب سُلطانُه، فلا يُبدِئُ ولا يُعيد.

وكان المشركون يتَّهمون النبيَّ ﷺ بالضلالِ، فأمَرَه اللهُ أن يقولَ لهم على سبيلِ التنزُّلِ في المجادلةِ والمناظَرةِ: {قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى}؛ أي: لو أني ضللتُ- وحاشاه ذلك- فضلالي على نفسي، وضررُه عليَّ، ولا يضُرُّ الحقَّ شيئًا، وإنِ اهتديتُ فذلك فضلُ ربي ولا حولَ ولا قوةَ لي إلا باللهِ، وهذه الهدايةُ التي منحني اللهُ إياها هي بِوَحيِ اللهِ إليَّ بالهدى ودينِ الحقِّ.

وليس في الآية ما يدلُّ على ضلالِ النبيِّ ﷺ عن منهجِ اللهِ تعالى، وإنما جاءت في مقامِ الردِّ على المُكذِّبين ودحضِ حُجَّتِهم.

علاوةً على أن نسبةَ الضلالِ إلى نفسِه ليس لأنه غيرُ معصومٍ؛ ولكنْ على جهةِ الأدبِ مع اللهِ تعالى، كقولِ إبراهيمَ: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾} [الشعراء: ٨٠].

فنسب المرضَ لنفسِه، والشفاءَ لربِّه، مع أن الكلَّ منْ عندِ الله؛ لكنه الأدبُ مع الله، كقولِ نبيِّ اللهِ الخَضِر عليه السلام: {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا}؛ أي: السفينة، حيثُ نسَبَ العيبَ إلى نفسِه، مع أنه أمْرُ اللهِ له، {وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ}.

وهو كقولِ النبيِّ ﷺ: «**وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»، مع أنَّ الكلَّ مِنْ خلقِ اللهِ وقَدَرِه.

والشرطُ في قولِه سبحانه: {قُلْ إِن ضَلَلْتُ} لا يقتضي الوقوعَ ولا الجوازَ، فالضلالُ لا يقعُ منه، ولا يجوزُ أن يقعَ منه، لا قبلَ النبوةِ ولا بعدَها، بمقتضى عِصمةِ اللهِ له، وهذا كقولِه تعالى في حقِّ يونسَ عليه السلام: {لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَذۡمُومٞ ۝٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠} [القلم:٤٩، ٥٠]؛ أي: لولا ما عَصَمْناه ورحِمْناه، لأتَى ما يُذَمُّ عليه، على فرضِ الإمكان لا الوقوعِ[1].

وهذا كقولِ اللهِ تعالى: {وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ} [النساء:١١٣]؛ والمعنى: لولا فضلُ اللهِ عليك يا محمدُ بعصمتِه ورحمتِه إياك، لهمَّتْ طائفةٌ منهم أن يُضِلُّوك على فرضِ الإمكانِ لا على فرضِ الوقوعِ والحدوثِ بدليلِ بقيةِ الآيةِ: {وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ}، فهذا مدحٌ له ﷺ وليس قدحًا فيه ﷺ.

وهي كقولِه تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ۝٧٣} [الإسراء:٧٣]؛ أي: لولا وجودُ تثبيتِنا لكَ لأوشكتَ على الميلِ إليهم؛ ولكنَّ هذا

---

[1] ردُّ شبهاتٍ حولَ عصمةِ النبيِّ، د/ عماد الشربيني (ص١٥٠).

ممتنعٌ عليك، لوجودِ عصمتِنا لك من الزَّيغِ واتباعِ الهوى ولتثبيتِنا إياكَ على الحقِّ والهدى[١].

٢ـ هل النبيُّ محمدٌ ﷺ كان من الغافلين؟

قال اللهُ تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣} [يوسف:٣]؟

الجواب:

معنى قولِه سبحانه: {وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣}؛ أي: ما كنتَ عالمًا ولا عارفًا بهذا القرآن وهذا الوحيِ قبلَ أن نُوحيهِ إليك، كقولِه تعالى: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢} [الشورى:٥٢].

---

[١] د/ عماد الشربيني (ص١٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالغفلةُ في حقِّ الأنبياءِ لا جهلَ فيها؛ لأن الجاهلَ لا يُسمَّى غافلًا حقيقةً لقيامِ الجهلِ به، فصحَّ أن ضلالَ الأنبياءِ غفلةٌ لا جهلٌ.

(١) تنزيهُ الأنبياءِ عما نسَبَه إليهم حُثالةُ الأغبياءِ[1].

٣ـ هل كان للنبيِّ محمدٍ ﷺ ذنوبٌ لكي يستغفرَ منها؟

وما الذنبُ في حقِّه ﷺ؟ لأن اللهَ يقولُ له: {وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ}، وقال: {لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢} [الفتح:٢]، وقال: {وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ} [الشرح ٣-٤].

الجواب على ذلك من وجهين:

أولًا: معنى قولِه تعالى: {وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣} [الشرح:٢،٣]: هي آيةٌ وردت بينَ مِنَّتَينِ عَظيمَتَينِ امتَنَّ اللهُ بهما على النبيِّ محمدٍ ﷺ، وذكَرَها اللهُ في مقامِ الثناءِ

---

[1] انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/ ١١٤)، وعلي السبتي (ص١١٢ـ١١٣).

والمدحِ لرسولِ اللهِ ﷺ وهما:

١- شرحُ الصدرِ الحِسِّيِّ بنزعِ حظِّ الشيطانِ من قلبِه؛ ليكونَ قلبُه سليمًا نقيًّا نظيفًا خاليًا من الشهواتِ والشُّبُهاتِ المحرَّمةِ، وشرحُ الصدرِ المعنويِّ الممتلئِ بنورِ الإيمانِ والإسلامِ والإحسانِ والتوحيدِ والسُّنةِ والفطرةِ السليمةِ والعبوديةِ الكاملةِ للهِ تعالى.

٢- والمِنَّةُ الثانيةُ هي رفعُ ذِكرِهِ وعُلوُّ قدرِه ﷺ.

وبينهما قال الله له مُثنيًا عليه مُعظِّمًا إياه: {وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢}؛ أي: رفعنا عنك الأوزارَ والذنوبَ والآثامَ التي لو كانت لأثقلتْ ظهرَكَ، بعصمَتِنا لكَ يا محمدُ.

فقد شرَحْنا لك صدرَكَ بأنْ جعلنا قلبَكَ نقيًّا خالصًا للهِ، ليس فيه مَحبَّةٌ لمعصيةٍ، ولا ميلٌ إلى فتنةٍ، وعصمناكَ مِن ارتكابِ الخطايا والدَّنايا، فالمعنى: {وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢}؛ أي: رفعنا عنك الأوزارَ بالعِصمةِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: معنى الذنبِ في حقِّ النبيِّ ﷺ في قولِه تعالى: {وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ}، وقولِه: {وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾} [النساء:١٠٦].

معنى الاستغفار من هذا الذنبِ:

- الذنب في حقِّ النبيِّ ﷺ هو من بابِ: «حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبين»؛ أي: ما يعتبِرُه الأبرارُ حسناتٍ فهو عند المقرَّبين يُعَدُّ من السيئاتِ؛ لعلوِّ مقامِهم وعبوديتِهم.

وهذا الذنبُ إما يكونُ بتركِ الأَوْلَى في حقِه، أو لأنه لم يترقَّ إلى مَقامٍ أعلى، أو لانشغالِه بأمرٍ مباحٍ شغَلَه عن الذِّكرِ كالأكلِ والشربِ والجماعِ ومخالطةِ الناسِ للنظرِ في مصالحِهم ونحوِ ذلك، فالنبيُّ ﷺ في ترقٍّ على الدوام في مقامِ العبوديةِ إلى أفضلِ الأحوالِ الظاهرةِ والباطنةِ، وفي كِلا الحالتَينِ ليس بمعصيةٍ، فترْكُ الأَوْلى ليس بمعصيةٍ، وعدمُ الترقِّي ليس بمعصيةٍ.

وعلى هذا يكونُ استغفارُه استغفارَ عبادةٍ وتواضعٍ وتقرُّبٍ إلى اللهِ تعالى، وبخاصة أن اللهَ نفى عنه الضلالَ والزَّيغَ والهوى، وجعله الأسوةَ إلى يومِ القيامةِ؛ لكمالِ عبوديتِه وشمائلِه.

- فالاستغفارُ في حقِّه يكونُ على النحوِ الآتي:

١- لتركِه الأَوْلى أو لعدمِ الترقِّي للمقامِ الأعلى في تلك الساعة.

٢- لانشغالِه بالمباحاتِ التي لا بدَّ منها كالأكلِ والشربِ والجماعِ والنظرِ في مصالحِ الناسِ وملاعبةِ أبنائِه وأحفادِه ومحاربةِ أعدائِه وغيرِ ذلك من الأمورِ الدنيويةِ المباحةِ مما يَحجُبُه عن الانشغالِ بالذكرِ والتضرُّعِ، علاوةً على أن كلَّ هذه الأمورِ عباداتٌ مأجورٌ عليها؛ ولكنه يرجو الأعلى.

ج - تشريعًا لأمتِه، يُعلِّمُها كيف تستغفِرُ وكيف تكثرُ من الاستغفارِ والتوبةِ؟ أو استغفارًا لِذنوبِ أمتِه، فهو كالشفاعةِ لهم.

٤- استدعاءٌ لمحبةِ الله، فاللهُ يحبُّ التوابين المستغفرين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعلى كلِّ حالٍ فاستغفارُه استغفارُ عبوديةٍ وذِكرٍ وشكرٍ للهِ ربِّ العالمين وتعليمٍ وتشريعٍ للأمةِ، فإذا كان النبيُّ المعصومُ يفعلُ هكذا، فما بالُنا ونحن الخطَّاؤون، فلا بدَّ أن نقتديَ به ونكثرَ من الاستغفارِ والتوبةِ والإنابة.

معنى الآياتِ التي ورد فيها الاستغفارُ في حقِّ النبيِّ ﷺ المصطفى المختارِ:

١ـ قال الله تعالى: {إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦} [النساء ١٠٥-١٠٦].

معنى الآية: إنا أنزلنا إليك يا محمدُ القرآنَ المشتملَ على العلمِ الذي تحكُمُ به بين الناسِ بالعدل، فاحكُمْ بينهم بما أراكَ اللهُ لا بما تراه أنت، فلا تقبَلْ دعوى أحدٍ على أحدٍ إلا بحُجَّةٍ وبرهانٍ، ولا تكنْ مدافعًا ولا مخاصِمًا عن خائنٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واستغفرِ اللهَ مما همَمْتَ به من غدرِ الخائنِ، قبلَ أن يتضحَ لك أمرُه، فقد بيَّنَ لله أمرَهم، وكشفَ حِيلتَهم وخيانتَهم، وليس في ذلك أدنى معصيةٍ؛ لأن القاضيَ يحكُمُ بما ظهرَ له من الأدلةِ والقرائنِ.

وقد قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا**»[1]، فالقاضي يحكُمُ بالظاهرِ ولله يتولَّى السرائرَ.

٢ـ قال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢} [الفتح:١،٢].

فذنوبُه كما سبق بيانُها من بابِ: «حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبين»، وليست كذنوبِ غيرِه من البشر، كما سبق بيانُه.

والآيةُ واردةٌ في مقامِ التشريفِ والمدحِ للنبيِّ ﷺ من غيرِ أن يكونَ هناك ذنبٌ، فالآيةُ استوعبتْ جميعَ النِّعَمِ الأُخرويةِ

---

[1] أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والدنيوية، **فالأُخروية** تكونُ بأمرَينِ: غفرانِ الذنوبِ وإن لم يكنْ للمخاطَبِ ذنبٌ، وتمامِ النعمةِ بحلولِ الرضوانِ ودخولِ الجنة، **والدنيوية** تكون بأمرَينِ: بالهدايةِ للطريق المستقيم، والنصرِ على الأعداء.

- معنى الاستغفارِ في حقِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم:

للاستغفارِ معانٍ عدةٌ، منها: استغفارُ الشكر، واستغفارُ العبودية، واستغفارُ الذنوب.

أ- استغفارُ شكرٍ للهِ على النِّعَم: كما في قولِه سبحانه وتعالى: {إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣} [النصر ١-٣]؛ أي: إذا رأيتَ يا محمدُ فضلَ اللهِ عليك ونعمتَه بالنصرِ على الأعداءِ وفتحَ مكةَ وغيرِها للإسلامِ ودخولَ الناسِ في دينِ اللهِ مسلمين مؤمنين فاحمَدِ اللهَ واشكُرْه وأكثِرْ من التسبيحِ والتحميدِ والاستغفارِ شكرًا لله على هذه النِّعمة، ولذلك كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُكثِرُ من قولِ: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ**

إِلَيْهِ» بعدَ نزولِ هذه السورةِ؛ بل يكرِّرُ ذلك في كلِّ ركوعٍ وسجودٍ، فسألَتْه زوجُه عائشةُ ﵂ عن ذلك فقال: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ قَالَتْ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ : «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»؟ فَقَالَ : «خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا» ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر ١-٣] [١].

وعصمةُ الله تعالى لنبيِّه ﷺ من الذنوبِ فيما تقدَّمَ من عمُرِه وما تأخَّرَ من أعظمِ النعمِ التي قام النبيُّ ﷺ بشكرِها بالاستغفارِ وغيرِه من صنوفِ العباداتِ، فعن عائشةَ ﵂ قالت: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطَّرَ رِجلاه، فتقولُ له: يا رسولَ الله، أتصنع

---

[١] أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ فقال: «**يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[1]، والنَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[2]، وهو المعصومُ صلى الله عليه وسلم؛ ولكنه يقولُ ذلك؛ شكرًا لِربِّه على العصمةِ وغيرِها.

ب- استغفارُ عبوديةٍ وتواضُعٍ وتقرُّبٍ للهِ ربِّ العالمين: فاللهُ جل وعلا نفى عنه ﷺ العصيانَ والضلالَ واتباعَ الهوى، ووصفه بأعظمِ الأوصافِ، وجعله أسوةً للناسِ في حياتِه وبعدَ مماتِه، قال الله تعالى: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣} [النجم:٢،٣]، وقال: {مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧} [النجم:١٧]،

---

[1] أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

[2] أخرجه البخاري (٦٣٩٨).

وقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [القلم:٤]، وقال: {إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾} [الأحزاب:٥٦].

فاللهُ عز وجل يُثنِي عليه ويرفعُ درجاتِه، والملائكةُ تُثني عليه، وتدعو له بالخيرِ، وقال: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} [الأحزاب:٢١]، وقال: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾} [الضحى:٥]، وقال: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾} [الشرح:٤] ... إلى آخره.

ولذلك أمر اللهُ نبيَّه ﷺ أن يستغفرَه تعبُّدًا، كما أمرَه أن يستغفِرَه شكرًا على النعمِ، فقال: {فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾} [محمد:١٩].

ولذلك كان النبيُّ ﷺ دائمَ الاستغفارِ لربِّه بالليلِ والنهارِ تعبُّدًا للهِ وتواضُعًا وقُربًا وخشيةً، فكان يقولُ في كل صباحٍ ومساءٍ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[١]، وكان ﷺ يقولُ بين السجدتينِ في الصلاةِ: «رَبِّ اغْفِرْ لِيْ، رَبِّ اغْفِرْ لِي»[٢]، ويقولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي وَاجْبُرْنِي»[٣]، وقال: «إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيهِ فِي الْيَوْمِ مِئةَ مَرَّةٍ»، وقال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: إن كنا لنعُدُّ لرسولِ الله في المجلس الواحد: «أَسْتَغْفِرُ لله وَأَتُوبُ إِلَيهِ» أكثرَ مِن سبعينَ مرةٍ[٤].

ويقولُ فِي سُجُودِهِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»[٥].

---

[١] أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

[٢] أخرجه أحمد (٢٣٣٧٥).

[٣] أخرجه أحمد (٣٥١٤).

[٤] أخرجه أحمد (٤٧٢٦).

[٥] أخرجه مسلم (٤٨٣).

فهذا ونحوُه استغفارُ عبوديةٍ وذكرٍ وقُربٍ للهِ جلَّ وعلا، وليس استغفارَ ذنوبٍ ومعاصٍ.

ج- استغفارٌ على الذنوبِ والمعاصي:

وهذا الاستغفارُ في حقِّ عمومِ البشرِ غيرِ المعصومين؛ لقولِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١).

ولقول اللهِ تعالى: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر:٥٣]، ولقولِ نوحٍ لقومِه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح:١٠].

وهذه الذنوبُ والخطايا تكونُ بالتقصيرِ في الطاعات، وارتكابِ المُحرَّمات، والأنبياءُ والرسُلُ مُنزَّهون عن ذلك؛ لأنهم صفوةُ الله من خلقِه، ربَّاهم الله على عينِه، وعلَّمَهم من علمِه وأعانَهم على ذكرِه وشُكرِه وحسنِ عبادتِه، وعصَمَهم مِن ارتكابِ

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٠٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحرَّماتِ، وجعلَهم قدوةً للخلقِ في الخيرِ كلِّه، {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ}[الأنعام:٩٠]، والناظرُ في سيرةِ سيدِ الخلقِ محمدٍ ﷺ يرى كيف أنه كان يذكُرُ ربَّه على كلِّ أحوالِه، وتنام عينُه ولا ينامُ قلبُه عن الذِّكرِ والطاعةِ، وكيف كان قيامُه وصيامُه وجهادُه ودعوتُه وتعليمُه وبِرُّه وشمائلُه وأخلاقُه وتقواه وخشيتُه لربِّه بالغيبِ والشهادة.

فليس له ذنبٌ يُذكَرُ حتى يتوبَ منه ويستغفرَ ربَّه منه، وإنما استغفارُه استغفارُ ذِكرٍ وشكرٍ وحُسنِ عبوديةٍ للهِ تعالى.

- معنى قولِ الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١} [الأحزاب:١]:

أي: يا أيُّها النبيُّ الكريمُ الذي امتَنَّ الله عليك واختصَّكَ بالوحيِ والنبوةِ والرسالةِ داوِمْ على تقوى الله، وازْدَدْ تقوى على تقواك بالاجتهادِ في الطاعات واجتنابِ المحرَّماتِ التي عصمَكَ اللهُ منها، واحذَرْ مشاربَ الكفارِ والمنافقين، ولا تلتفِتْ إليهم، إنَّ الله عليمٌ بخلقِه أجمعين؛ مسلمِهم وكافرِهم، حكيمٌ في خلقِه وأمْرِه

وتدبيرِه، وهذا وإن كان خطابًا للنبيِّ ﷺ فهو خطابٌ وأمرٌ لجميعِ أمتِه.

- معنى قولِه تعالى للنبيِّ ﷺ: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠} [الأعراف:٢٠٠]؛ أي: يا أيُّها النبيُّ في أيِّ وقتٍ تشعُرُ فيه بوسوسةِ الشيطانِ، وبتثبيطِه لكَ عن الخيرِ أو وسوستِه بالشرِّ أو الغضبِ فاعتصِمْ باللهِ منه مُستَعيذًا منَ الشيطانِ، فإنه سميعٌ لقولِك، عليمٌ بوساوسه، ويحميك من ذلك وينصُرُك ويُؤيِّدُك.

وهذا وإنْ كان أمرًا للنبيِّ ﷺ فهو خطابٌ لجميعِ الأمةِ في شخصِ نبيِّها صلى الله عليه وسلم، فالأنبياءُ صفوةُ الله من خلقِه، ولم يجعلِ الله للشيطانِ عليهم سلطانًا، فقال: {إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢} [الحجر:٤٢].

- جَرَيانُ السهوِ على النبيِّ ﷺ في بعضِ الأمورِ كصلاتِه الظهرَ خمسَ ركعاتٍ، وصلاتِه العصرَ ركعتين، وقولِه ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي»[١]، فهذا غيرُ قادحٍ في العصمة؛ لأن اللهَ تعالى أجرى عليه هذا النسيانَ؛ تشريعًا لأمتِه، حتى إذا جرى عليها السهوُ في الصلاةِ تتعلمُ كيف تفعلُ، ولولا جريانُ هذا السهوِ لكان الأمرُ شاقًّا علينا، فالحمدُ للهِ الذي شرعَ لنا هذا التشريعِ وعلَّمَنا هذا العلمَ.

- ما جرى في بعضِ غزواتِ النبيِّ ﷺ وأسفارِه في أثناءِ رجوعِه وقد أصابهم التعبُ وغلبَهم النُّعاسُ، فنزلوا منزِلًا وقال لبلالٍ رضي الله عنه: «**إِكْلَأْ لَنَا اللَّيْلَ**»؛ أي: راقِبْ واحفَظْ لنا وقتَ الفجرِ؛ لتُوقِظَنا، فنام بلالٌ، فما استيقظوا حتى ضرَبَتْهم الشمسُ، وكان النبيُّ ﷺ أولَهم استيقاظًا، فقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى بِلَالًا وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَضْجَعَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُهَدِّئُهُ كَمَا يُهَدَّأُ الصَّبِيُّ حَتَّى نَامَ**»[٢]. فقال النبيُّ ﷺ: «**فَإِنَّ هَذَا مَنْزِلٌ حَضَرَنَا فِيهِ الشَّيْطَانُ**»[٣].

---

[١] أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢).

[٢] انظر: مشكاة المصابيح (١/ ٢١٧).

[٣] أخرجه مسلم (٦٨٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فليس في ذلك ما يتعارضُ مع عصمةِ النبيِّ ﷺ، فمن الأمورِ الجائزةِ في حقِّ الأنبياءِ التعبُ والنوم، علاوةً على أن اللهَ عزَّ وجلَّ قدَّرَ هذا تشريعًا للأمةِ؛ حيث إن العبدَ إذا نام عن الصلاةِ للتعبِ والمشقةِ الشديدةِ، ثم قام بعد فواتِ الوقت، فإنه يقومُ ويصلي الصلاةَ ولا حرجَ عليه؛ لأنه معذورٌ في هذه الحالةِ بِعُذر النومِ الخارجِ عن الإرادةِ، قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ نَسِيَ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَإِنَّمَا كَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا**»[1].

وهذا الذي حصل من هذا القبيلِ، بدليلِ ما جاءَ في روايةِ أبي قتادةَ قال: فجعلَ بعضُنا يهمِسُ إلى بعضٍ، ما كفَّارةُ ما صنَعْنا بتفريطِنا في صلاتِنا؟ فقال النبيُّ ﷺ: ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ عَلَى مَنْ لَمْ يُصَلِّ الصَّلَاةَ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ الْأُخْرَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلْيُصَلِّهَا حِينَ يَنْتَبِهُ لَهَا، فَإِذَا كَانَ الْغَدُ فَلْيُصَلِّهَا عِنْدَ وَقْتِهَا**»، وقد أمرَ النبيُّ ﷺ بلالًا رضي الله عنه أن يؤذِّنَ، وتوضَّأَ القومُ، وصلَّوا سُنَّةَ الفجرِ

---

[1] أخرجه أحمد (١١٩٧٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ركعتين، ثم أمرَ بلالًا فأقام، ثم صلى بهم الفجرَ ركعتين بعدَ طلوعِ الشمسِ.

وهذا التشريعُ تعليمٌ للأمةِ، علَّمَنا اللهُ ذلك بحدوثِ هذه الحادثة.

المبحث الثالث
آيات العتاب التي ورَدتْ في القرآن في حقِّ النبي ﷺ

كلُّ عتابٍ من اللهِ للنبيِّ ﷺ واردٌ في مقامِ المِنَّةِ على رسولِ اللهِ ﷺ وبيانِ عظيمِ فضلِه ومكانتِه عند ربِّه، وهو عتابٌ على تركِ الأَوْلَى، وليس على ذنبٍ أو خَطَأ.

لأنَّ النبيَّ ﷺ لم يرتكبْ نهيًا ولم يخالفْ أمرًا لِربِّه جلَّ وعلا، وإنما هو اجتهادُه في أمورٍ ترك اللهُ له فيها حريةَ الاختيار.

وعلى سبيلِ المثال:

أ- قال تعالى: {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾} [التوبة:٤٣]: وذلك حينما عزمَ النبيُّ ﷺ على الخروجِ إلى غزوةِ تبوك، فاستأذَنَ بعضُ المنافقين في التخلُّفِ عن الخروجِ لأعذارٍ أبدَوْها، فأذِنَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ لسببَينِ:

الأول: أنَّ اللهَ لم يأمُرْه ولم ينهَهُ في ذلك، وإنما ترك له حريةَ التصرفِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثاني: أنه لا يريدُ إجبارَهم على الخروجِ حتى لا يكونوا ضررًا على غيرِهم.

فبيَّنَ اللهُ له على سبيلِ الإرشادِ واختيارِ الأفضلِ أنَّ عدمَ الإذنِ لهم هو الأفضلُ؛ لينكشفَ أمرُهم، وخاطَبَه اللهُ بخطابِ المُحبِّ الرفيقِ اللطيفِ، فقدَّمَ العفوَ على العتابِ لعظيمِ منزلتِه ورفعةِ قدرِه عند ربِّه فقال الله له: {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ}.

ب- عتابُ اللهِ له في أسرى بدرٍ قال اللهُ تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧} [الأنفال:٦٧].

معنى الآيات: لا ينبغي لنبيٍّ أن يكونَ له أسرى من أعدائه حتى يبالغَ في القتل، لإدخال الرُّعب في قلوبهم، ويوطِّدَ دعائمَ الدِّين، أتريدون يا معشرَ المسلمين بأخذِكُمُ الفداءَ من أسرى بدرٍ متاعَ الدنيا، واللهُ يريدُ إظهارَ دينِه الذي به تُدرَكُ الآخرةُ، لولا أنَّ اللهَ تعالى أحلَّ لكم الغنائمَ وفداءَ الأسرى لَنَالَكُم عذابٌ عظيمٌ؛ ولكنها حلالٌ لكم، فكُلوا الغنائِمَ، وخذوا الفداءَ من الأسرى

حلالًا طيِّبًا، واتقوا اللهَ بِنُصرةِ دينِه وطاعةِ أوامِرِه واجتنابِ نواهيه، وسوف يغفرُ لكم ويرحمُكم.

فاللهُ جلَّ وعلا أباحَ للنبيِّ ﷺ وأمتِه الغنائمَ وفداءَ الأسرى؛ ولكن كان الأَوْلَى والأفضلُ قتلَ الأسرى نكايةً في العدوِّ وإرهابًا لهم، فهو عتابٌ على تركِ الأَوْلَى والأفضلِ، وليس على جنايةٍ أو ذنبٍ أو خطيئةٍ.

ج- معنى قولِ اللهِ تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾} [الأحزاب:٣٧]:

تبنَّى النبيُّ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ قبلَ الإسلامِ، وتزوَّجَ زيدُ بنُ حارثةَ من زينبَ بنتِ جحشٍ القُرَشيَّة، وكانت زينبُ لا ترغبُ في البقاءِ مع زيدٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم حرَّمَ اللهُ التبنِّيَ، وأمرَ أن يُنسَبَ كلُّ ولدٍ لأبيه، وأخبرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أن زيدًا سيُطلِّقُ زينبَ من النفرةِ التي بينهما، وأمَرَه بالزواجِ من زينبَ لإثباتِ إبطالِ التبنِّي، وأن الابنَ المُتبَنَّى ليس كالابنِ الصُّلبِيِّ، فيَحرمُ على الرجلِ الزواجَ بزوجةِ ابنِه على التأبيدِ، أما الولدُ المتبنى فيجوزُ الزواجُ من زوجتِه بعد طلاقِها منه أو وفاتِه عنها؛ لأنه ليس ولدًا صُلبيًّا، فقال اللهُ تعالى للنبيِّ ﷺ: {فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا}.

ولِشِدةِ حياءِ النبيِّ ﷺ كان يخشى أن يُقالَ: إنَّ محمدًا تزوَّجَ بامرأةِ ولدِه، أو أن يُسيءَ أحدٌ الظنَّ به، كما حدث منه وهو يوصِّلُ صفيَّةَ زوجتَه لبيتِها ليلًا وقال: «**عَلَى رِسْلِكُمَا؛ إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»[1].

فتزوجَ النبيُّ ﷺ زينبَ بعد انقضاءِ عدتِها بأمرٍ منَ الله: {زَوَّجْنَٰكَهَا}، وكانت زينبُ تفخرُ على أزواجِ النبيِّ ﷺ وتقولُ

---

[1] أخرجه البخاري (٢٠٣٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لهنَّ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ[1].

وأما ما يُنسَبُ إلى النبيِّ ﷺ من الكذِبِ والزورِ أنه دخل بيتَ زيدٍ يومًا فرأى من زينبَ ما أعجَبَه منها، وأنها وقعتْ في قلبِه وتمنَّاها لنفسِه، فهذا محضُ كذِبٍ وافتراءٍ، ولا يليقُ بصالحي الأمةِ، فكيف يقالُ هذا في حقِّ النبيِّ المصطفى والحبيبِ المجتبَى ﷺ المعصومِ بعصمةِ اللهِ إياه، والقدوةِ والأُسْوةِ الذي أمرنا اللهُ باتِّباعِه وطاعتِه طاعةً مطلقةً؟! قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ} [النساء:٥٩]، وقال أيضًا: {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ} [النور:٥٤].

د- عتابُ اللهِ للنبيِّ ﷺ في ابنِ أمِّ مكتومٍ بقولِه تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا

[1] أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩}

[عبس:١-٩]:

سببُ نزولِ الآياتِ أن عبدَ اللهِ بنَ أمِّ مكتومٍ أتى رسولَ اللهِ ﷺ وهو يدعو بعضَ عظماءِ المشركين يرجو هدايتَهم وهدايةَ مَنْ وراءَهم، فجاء ابنُ أمِّ مكتومٍ يقول: يا رسولَ اللهِ، أرشِدْني، والنبيُّ ﷺ حريصٌ مُقبِلٌ على مَنْ يُكلِّمُهم مِن عظماءِ المشركين، ومشغولٌ بدعوتِهم لعلَّ اللهَ يهديهم، فيكونون نُصرةً للإسلامِ والمسلمين، فانشغلَ النبيُّ ﷺ عن ابنِ أم مكتومٍ، فعاتَبَه اللهُ هذا العتابَ اللطيفَ بسببِ عمى ابنِ أمِّ مكتومٍ؛ حيث إنه يحتاج لمزيدٍ من الرِّفقِ به والعطفِ عليه والتلطُّفِ به؛ حيثُ إنه مع ضعفِه وعاهتِه جاء يسعى؛ ليتعلمَ ويهتدي.

فالنبيُّ ﷺ لم يُذنِبْ، ولم يُخطِئْ؛ بل كان الواجبُ على ابنِ أمِّ مكتومٍ أن ينتظرَ؛ لأنه يسمعُ النبيَّ ﷺ وهو يتحدثُ مع الناس، فكان الواجبُ عليه الصبرَ حتى يفرُغَ؛ ولكنَّ اللهَ عَذَرَه لِعُذرِه وسعيِه للخيرِ.

وعتابُ اللهِ لنبيِّه ﷺ على أمرٍ اجتهاديٍّ وقعَ منه على خلافِ الأَوْلَى، لا على ذنبٍ ارتكبَه.

هـ - معنى قولِه سبحانه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ ۝٤} [التحريم:١-٤]:

لمعرفةِ معنى هذه الآيةِ الكريمةِ ومعنى هذا العتابِ الجميلِ مِن الربِّ الجليلِ لسيِّدِ النبيين محمدٍ ﷺ لا بدَّ أن نعرِفَ سببَ النزولِ أولًا، وقد ورد في نزولِ هذه الآيةِ سببانِ صحيحانِ:

السببُ الأول: ما رواه الإمام مسلمٌ عن أم المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها قالت: إن النبيَّ ﷺ كان يمكثُ عند زينبَ بنتِ جحشٍ، فيشربُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عندها عسلًا، فتواطَأْتُ أنا وحفصةُ أن أيَّتَنا ما دخل عليها النبيُّ ﷺ فلتقُلْ: أني أجدُ منك ريحَ مغافيرَ- هو صمغٌ حلوٌ؛ ولكنَّ له رائحةً كريهةً- أكلتَ مَغافير؟ فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال: «**بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ**». فنزل: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ...} إلى قوله تعالى: {إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ}؛ لعائشةَ وحفصةَ.

{وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا} لقولِه ﷺ: «**بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا**»[1].

وفي روايةٍ للبخاري: «**فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ،لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا**»[2].

وعن ابنِ عباسٍ ﷺ أنه سأل عمرَ عنِ المرأتينِ اللَّتينِ نزلت فيهما الآيةُ: {وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ} فما أتمَّ سؤالَه حتى قال عمر ﷺ:

---

[1] أخرجه مسلم (١٤٧٤).

[2] أخرجه البخاري (٤٩١٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هما عائشةُ وحفصةُ[١]. ففي هذا الحديثِ حَلَفَ النبيُّ ﷺ أن يمتنِعَ عن شربِ العسلِ عند زوجِه زينبَ.

فهذا تحريمُ امتناعٍ عن مُباحٍ بسببِ إرضائه لأزواجِه والتضييقِ على نفسِه، بصفتِه بَشَرًا من بني آدمَ يغضبُ كما يغضبون، وليس تحريمًا لما أحلَّ اللهُ تعالى؛ لأن النبيَّ المعصومَ الذي بلَّغنا قولَ اللهِ تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾} [المائدة:٨٧]، يستحيلُ عليه أن يحرِّمَ ما أحلَّ اللهُ من الطيباتِ.

السبب الثاني لنزولِ الآيات: ما رواه النسائيُّ وغيرُه عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: إن رسولَ الله ﷺ كانت له أَمَةٌ يَطؤُها، فلم تزَلْ به عائشةُ وحفصةُ حتى حرَّمَها، فأنزل اللهُ: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ}[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٤٩١٤-٤٩١٥)، مسلم (١٤٧٩).

[٢] أخرجه النسائي في الكبرى (٨٩٠٧)، والحاكم (٣٨٢٤)، وإسنادُه صحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن ابن عمرَ ﷺ قال: دخل رسولُ اللهِ ﷺ بأمِّ ولدِه ماريةَ في بيتِ حفصةَ، فوجدته حفصةُ معها، فقالت له: تُدخِلُها في بيتي، ما صنعتَ بي هذا مِن بينِ نسائك إلا مِنْ هواني عليك، فقال: «**لَا تَذْكُرِي هَذَا لِعَائِشَةَ، فَهِيَ عَلَيَّ حَرَامٌ إِنْ قَرَبْتُهَا**»، قالت حفصةُ: وكيف تحرُمُ عليك وهي جاريتُك؟ فحلف ألَّا يقرَبَها، فقال النبيُّ ﷺ: «**لَا تَذْكُرِيه لِأَحَدٍ**»، فذكَرتْه لعائشةَ ﷺ، فآلى لا يدخلُ على نسائِه شهرًا، فاعتزلَهُنَّ تِسعًا وعشرين ليلةً، فأنزل اللهُ تعالى: {لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ}.

وهذا الحديثُ رواه الدارقطنيُّ، وفيه عبدُ اللهِ بنُ شعيبٍ أبو سعيد، وهو ضعيفٌ مُتكلَّمٌ فيه، فالسندُ ضعيفٌ؛ ولكنَّ الحافظَ ابنَ كثيرٍ ذكرَ في «التفسيرِ» أنه رواه الهيثم بن كليبٍ في «مسندِه» بسندٍ صحيحٍ عن عمرَ ﷺ، ورجَّحَ ذلك الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الفتحِ» تحت رقم (١٥٩٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: وللحديثِ شواهدُ أخرى بمجموعِها يتبينُ أن للقصةِ أصلًا[١].

ثانيًا: معنى التحريمِ في الآية الكريمة:

التحريم في اللغة والشرع له معنيان:

الأول: اعتقادُ ثبوت حكمِ التحريمِ في الشيء المنهيِّ عنه والذي هو مقابلُ الحِلِّ، كقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾} [الأعراف:٣٣].

الثاني: التحريمُ بمعنى الامتناعِ عن الشيءِ المباحِ الذي أحلَّه اللهُ، وهو كقولِه تعالى في حقِّ موسى ﷺ: {۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ} [القصص:١٢]؛ أي: منعناه المراضعَ أن يرتضعَ منهنَّ إلا مِن

---

[١] من هذه الشواهدِ حديثُ ابنِ عباسٍ عند البيهقي في كتابِ الخلعِ والطلاقِ، باب مَنْ قال لامرأتِه: أنتِ عليَّ حرامٌ (٧/ ٣٥١)، وعند الطبراني في الكبير (١١١٣٠)، وأخرجه سعيدُ بنُ منصورٍ في سُنَنِه (٦٧٠٧) بسندٍ صحيحٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثَدي أُمِّه[1].

وكقولِه تعالى: {إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢} [المائدة:٧٢]؛ أي: منعَه دخولَها، وكقولِه سبحانه وتعالى: {۞كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣} [آل عمران:٩٣]؛ أي: إلا ما امتنعَ عنه يعقوبُ من قِبَلِ نفسِه.

والامتناعُ عما أحلَّه اللهُ قد يكونُ مؤكَّدًا باليمينِ على اعتقادِ حِلِّه، وهذا مباحٌ صرفٌ وحلالٌ مَحضٌ، وهذا هو الذي فعله رسولُ الله ﷺ أنه حلف أن يمتنعَ عن شيءٍ مباحٍ مع اعتقادِه حِلَّه، وقد حلفَ على ذلك، كما قال في العسل: «**فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ**»، وكما قالت حفصةُ ﵂ في حقِّ ماريةَ ﵂ للنبيِّ ﷺ: وكيف تحرُمُ عليكَ وهي جاريتُك؟ فَحَلفَ لها ألَّا يَقرَبَها.

---

[1] تفسير الطبري (٢٠/ ٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعتبَ اللهُ عليه أنه تركَ الأَوْلَى و الأفضلَ وأن يكفرَ عن يمينِه ويستمتعَ بما أحلَّه اللهُ له.

ولم يكنِ العتابُ على ذنبٍ أو خطيئةٍ.

وأما ما زعَمَه الزمخشريُّ في تفسيرِه وتبِعَه عليه مَرْضَى القلوبِ من أعداءِ الإسلامِ وخصومِه للطعنِ في النبيِّ ﷺ وفي عِصمتِه؛ حيث زعم وزعموا أن النبيَّ ﷺ غيرُ معصومٍ، وأنه حرَّمَ ما أحلَّ الله، وهذا منه اعتداءٌ على حقِّ اللهِ في التشريع، وجهِلوا أن التحريمَ هنا بمعنى الامتناعِ عن المباحِ كما سلف بيانُه: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾} [الحج:٤٦].

وممَّنْ تبِعَهم على ذلك رجلٌ يُدعَى أحمدُ صبحي منصور، تخرَّجَ من جامعةِ الأزهر وحصل على العالِميةِ في التاريخِ، وتبرأَّ من السُّنةِ النبويةِ المطهرة، وزعم أنها عملٌ شيطانيٌّ، وأن رواتَها مجرمون خَوَنةٌ، فتبرأَّ منه الأزهرُ وجامعتُه وطردوه من الجامعة، فسافر إلى أمريكا، وعمِل مع الكذابِ الأَشِرِ مدعي النبوةِ رشادِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خليفة، وكان هذا الرجلُ الخبيثُ يحاضِرُ بالجامعةِ الأمريكيةِ بمصرَ، وكان مديرًا لرواقِ ابنِ خلدون الثقافيِّ بالمقطم[1].

فهذا العتابُ من اللهِ عز وجلَّ لنبيِّه ﷺ عتابُ شفقةٍ ورحمةٍ ولطفٍ ورِفْقٍ من اللهِ تعالى للنبيِّ ﷺ وتعظيمٍ لقدْرِه ورفعةٍ لمقامِه؛ أي: لا تُضَيِّقْ على نفسِك، ولا تَحرِمْ نفسَك مما فيه متعةٌ وسرورٌ لك مما أحلَّه اللهُ لك بإرضاءِ شخصٍ؛ بل الواجبُ على أزواجِك وجميعِ الناسِ أن يسعَوا في مرضاتِكَ وإسعادِك، ولذلك ناداه اللهُ مبتدئًا بالتكريم والتعظيم معتنيًا بأمرِه مُواسيًا لغضبِه قائلًا: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ}؛ لِمَ تَحرِمُ نفسَك وتمنَعُها مِمَّا أباحَه اللهُ لك لتُرضِيَ غيرَك؟

قال تعالى: {فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾} [طه: ١٣٠].

فالله جل وعلا يُواسيه بأمرِه بالصبرِ والتسبيحِ والتحميدِ بالليلِ والنهارِ؛ ليرضى هو ﷺ؛ لأن في ذلك سرورَ قلبِه وسعادةَ نفسِه،

---

[1] د/ عماد الشربيني (ص ٢٠٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما قال النبيُّ ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[١]، وإرضاءُ النبيِّ ﷺ إرضاءٌ للهِ تعالى قال سبحانه: {يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾} [التوبة:٦٢].

وحَّدَ الضميرَ في: {يُرْضُوهُ}؛ لأن إرضاءَ الرسولِ إرضاءٌ للهِ وطاعةُ الرسولِ ﷺ طاعةٌ للهِ عز وجل، قال تعالى: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾} [النساء:٨٠].

وقال تعالى لنبيِّه ﷺ: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾} [الضحى:٥]، وقال: {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾} [البقرة:١٤٤]، ولذلك قالتْ له عائشة: «ما أرى ربَّك إلا يسارِعُ في هواك»[٢]؛ أي: يُسارِعُ في

---

[١] أخرجه أحمد (١٤٠٣٧).

[٢] أخرجه البخاري (٤٧٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَرضاتِك.

ومما يدل على أن قولَه سبحانه وتعالى لنبيِّه ﷺ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ} ليس إنكارًا عليه ولا عتابًا له على ذنبٍ؛ بل لتكريمِه وتعظيمِه ومواساتِه: قولُه تعالى لأزواجِهِ اللاتي أغضَبْنَه: {إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ}؛ أي: إن ترجِعا إلى الله وتتوبا إليه من مُغاضَبةِ نبيِّه ﷺ فقد مالَتْ قلوبُكما للحقِّ، {وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤} [التحريم:٤]؛ أي: إنْ تعاوَنْتُما على إغضابِه وإيذائِه فإن اللهَ ناصرُه بقوتِه ونصرِه، وكذلك جبريلُ وصالحُ الملائكةِ وأهلُ الإيمانِ.

ثم قال الله لهما على سبيل الزجر والتأديب: {عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ۝٥} [التحريم:٥]؛ أي: أزواجًا يُسعِدْنه، ولا يُغضِبْنَه، ولا يُخالِفْنَ له أمرًا ولا نهيًا.

و- قول الله تعالى: {وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ظَهۡرَكَ ۝٣} [الشرح:٢-٣]:

الرد على النصارى الضالين في الفهم السقيم:

١-المعنى الأول: الوِزرُ في أصلِ اللغةِ هو الحِملُ والثقل، كما قال تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ} [محمد:٤]؛ يعني: أثقالَها.

فكلُّ شيءٍ أثقلَ على الإنسانِ وغَمَّه وكَدَّه وجَهدَهُ جازَ أن يُسمَّى وِزرًا؛ أي: حِمْلًا وثِقَلًا، قال اللهُ تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ: {إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥} [المزمل:٥]، هو الوحيُ وعِبءُ تبليغِه وثقلُ الدعوةِ وهمومُها وعقَباتُها ونحوُ ذلك.

وبناءً عليه: فلا مانعَ من أن يكونِ معنى قولِه تعالى: {وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣} [الشرح:٢-٣]؛ أي: سهَّلْنا ويسَّرْنا عليك حِملَكَ، حِملَ الدعوةِ والوحيِ؛ بدليلِ قولِه: {فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦} [الشرح:٥-٦].

٢- المعنى الثاني: {وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣}؛ أي: عَصَمْناكَ ومنَعْناكَ من الوقوعِ في الوِزرِ الذي لو كانَ لأنقضَ ظهرَكَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو بمعنًى آخرَ: لولا عِصمَتُنا ورحمتُنا لك لأتيتَ ما تُذَمُّ عليه، وهذا على فرضِ الإمكانِ لا الوقوع؛ لأنه معصومٌ، ومثلُه قولُه تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤} [الإسراء:٧٣-٧٤].

وكقوله تعالى: {وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣} [النساء:١١٣].

يشهد لذلك سيرةُ النبيِّ محمدٍ ﷺ قبلَ النبوةِ بعصمتِه من كلِّ سُوءٍ.

٣- هل هذه الآيةُ وردت في موضعِ ذمِّ النبيِّ ﷺ أم مدحِه ؟ أم تبكيتِه وتأنيبِه على معصيةٍ؟ فأولُ السورةِ يقولُ سبحانه: {أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١} [الشرح:١]، فسياقُ السورةِ يُبيِّنُ مِنَّةَ اللهِ على نبيِّه ﷺ وعظيمَ مكانتِه وفضلِه عند ربِّه في الدنيا والآخرةِ، مما يؤكد

أن ظاهرَ ما يطعَنُ في عصمتِه غيرُ مرادٍ، وإنما هو في حقيقةِ الأمرِ من جملةِ ما يُمدَحُ به.

ووضعُ الوِزرِ جاء بين مِنَّتَينِ عظيمتَينِ: شرحِ الصدرِ، ورفعِ الذِّكْر، فشرحُ الصدرِ ليكونَ موضعَ التجلِّياتِ ومهبطَ الرحماتِ، ورفعُ الذِّكرِ لبيانِ عظيمِ درجتِه عند ربِّ الأرضِ والسماواتِ.

فقد قرن اللهُ اسمَه باسمِه في الشهادتينِ، فلا يصحُّ إسلامُ المسلمِ إلا بهما، وقرنه في الأذانِ والإقامةِ والتشهدِ والخطبةِ والعيدَينِ، وخطبةِ النكاحِ وغيرِها من الخطب، وجعل الصلاةَ والسلامَ عليه من أعظمِ العبادات.

الطعنُ في النبيِّ محمد ﷺ وإنكارُ رسالته طعنٌ في الله تبارك وتعالى، ونسبةٌ للظلم والسفهِ إليه سبحانه، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا! بل هو جحودٌ وإنكارٌ للربِّ بالكلية؛ إذْ كيف يكونُ محمدٌ كذابًا، واللهُ جل وعلا يعصِمُه ويؤيدُه وينصُرُه على أعدائِه، ويبارِكُ في دعوتِه وينشُرُها في الأرض، ويُكثِرُ أمتَه وأتباعَه، وينشرُ كتابَه وسنتَه، ويحفظُها للمسلمين في المشارق والمغارب، وتُبنَى المساجدُ، ويُرفَعُ الأذانُ فيها خمسَ مراتٍ على المنابرِ، وتُقامُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجمعةُ والجماعاتُ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، وتقامُ شعائرُ الحجِّ في كلِّ عام، والعمرةُ في كلِّ لحظة، كلُّ هذا في حياتِه وبعد مماتِه ﷺ.

فلو كان محمدٌ ﷺ مدَّعيًا كذابًا لانتَقَمَ اللهُ منه وفضحَه، وبيَّنَ كذِبَه وجعلَه عبرةً، كما جعل كلَّ مَنِ افترى على اللهِ الكذبَ وادَّعَى النبوةَ وتقوَّلَ على اللهِ عبرةً، ولانفَضَّتْ دعوتُه منْ بعدِه، وانقرضَتْ أمتُه، وذهب كتابُه وضاعتْ سُنتُه؛ لكنَّ اللهَ تعالى شرحَ صدرَه، ورفعَ ذِكرَه، وأجاب دعاءَه، ونصَرَ أتباعَه، وفتح بهم البلادَ والعباد، وحفظَ كتابَه وسنتَه، واتباعُه في زيادةٍ كلَّ يومٍ إلى يومِنا هذا، ويحفظُ كتابَه وسنتَه الصغيرُ والكبيرُ، والذَّكَرُ والأنثى كلَّ يومٍ، وقامت له دولةٌ في شتى بقاعِ الدنيا، وصدَّقَه اللهُ في كلِّ ما أخبَرَ؛ بل أهلكَ اللهُ كلَّ مَن عادَاه وافترى الكذبَ عليه، وجعلَه عبرةً للمعتَبِرين.

وهذا من أظهرِ الأدلةِ على صحةِ رسالتِه وصدقِ نبوَّتِه، وعصمةِ اللهِ له ولرسالتِه إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها.

المبحث الرابع
عصمةُ الأنبياءِ من خلال القرآنِ والسُّنَّة

الأنبياءُ هم صفوةُ البشر، وأكرمُ الخلقِ على اللهِ، اصطفاهم اللهُ لِحَملِ دينِه وتبليغِ دعوتِه للناس، وجعلَهم الواسطةَ بينه وبين خلقِه في تبليغِ الشرائع، وأمرَهم بالبلاغِ، وأمَرَنا بالاقتداءِ بهم.

قال تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمَا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩} [الأنعام:٨٩].

وقال: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠} [الأنعام:٩٠].

وقد عَصَمَهم اللهُ تعالى في تبليغِ الدين، فلا يكتمون شيئًا مما أوحاه اللهُ إليهم، ولا يزيدون ولا ينقصون شيئًا، قال تعالى: {۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧} [المائدة:٦٧]، وقال سبحانه: {وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾} [الحاقة:٤٤-٤٧]، وقال سبحانه عن نبيِّه محمدٍ ﷺ: {وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾} [التكوير:٢٤]؛ أي: وما هو على وحيِ اللهِ بشحيحٍ، لم يكتُمْ منه شيئًا.

وقال سبحانه: {وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾} [النجم:١-٥]، وقال سبحانه: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾} [الأعلى:٦]، تكفَّلَ اللهُ له بجمعِ القرآنِ في صدره، فلا يَنسَى منه شيئًا في تبليغِه والعملِ به، وقال: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾} [القيامة:١٧-١٩].

عصمة الأنبياء من كبائر الذنوب قبلَ بعثتِهم وبعدها:

هذا قولُ جماهيرِ الخلفِ والسلفِ من المُحدِّثين والمفسِّرين والفقهاءِ؛ فهم القدوةُ الذين يُقتدَى بهم، فلا يليقُ بمِثلِهم أن يرتكِبَ شيئًا من الفواحِشِ.

وأما **الصَّغائرُ** فعلى قولَينِ لأهلِ العلمِ:

القول الأول: ذهب أكثرُ أهلِ العلمِ إلى أنَ الأنبياءَ غيرُ معصومين من الصغائِرِ، وأنها إذا وقعت منهم فإنهم لا يُقَرُّون عليها؛ بل يُنبِّهُهُمُ اللهُ عليها، فيبادِرون بالتوبةِ منها، فيتوبُ اللهُ عليهم، ومِن ذلك:

١- ما وقع لآدمَ عليه السلام، قال تعالى: {وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾} [طه:١٢١-١٢٢].

فهذا دليلٌ على وقوعِ المعصيةِ من آدمَ، وعدمِ إقرارِه عليها، مع توبتِه منها، وقبولِ اللهِ لها: {فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾} [البقرة:٣٧].

٢- ما وقع من موسى عليه السلام في قتلِ القِبْطيِّ خطأً، قال اللهُ تعالى عن موسى: {عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾} [القصص:١٥-١٦]، اعترف موسى عليه السلام بذنبِه، وتاب منه، وتاب اللهُ عليه منه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- ما وقع من داودَ عليه السلام حين حكمَ في القضيةِ للخصمِ قبلَ أن يستمِعَ لِحُجَّةِ الطرفِ الآخرِ، قال اللهُ عن داودَ: {فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾} [ص:٢٥].

والتوبةُ تغسلُ الحَوْبةَ، والتائبُ مِن الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ له.

فكلُّ ما صدَرَ من الأنبياءِ ويُظَنُّ أنه معصيةٌ فقد تابوا منه على الفورِ، وقَبِلَ اللهُ توبتَهم.

الأنبياءُ بشرٌ تصدُرُ منهم أمورٌ بمقتضى بشريتِهم؛ ولكنها لا تُنافِي العصمةَ، ومن ذلك:

١- خوفُ إبراهيمَ عندما قدَّمَ الطعامَ للأضيافِ فلم يأكلوا: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾} [الذاريات:٢٨]، وقال سبحانه: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾} [الذاريات:٢٨]، وهذا هو الخوفُ الجِبِلِّيُّ الذي فطرَ اللهُ الناسَ عليه، ولا إثمَ فيه ولا حرَجَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- وَعدَ موسى الخضرَ أن يصبِرَ في صحبتِه ولا يسألَه عن شيءٍ حتى يُحدِثَ له منه ذِكرًا، ولم يصبِرْ حتى سأله، واعترض عليه، وأنكرَ عليه كما هو معلومٌ في سورةِ الكهف، وهذا كلُّه إنكارٌ لِما ظاهِرُه مُنكَرٌ لله تعالى.

٣- غضِبَ موسى ﷺ، وألقى الألواحَ وأخذ برأسِ أخيه عندما عاد بعدَ أن تمَّ ميقاتُ ربِّه، ووجد قومَه يعبدون العِجلَ، وهذه غَيرةٌ لله تعالى، ولمَّا علِمَ أن هارونَ ﷺ ليس له جنايةٌ في ذلك قال: {رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١} [الأعراف:١٥١].

٤- نبيٌّ من الأنبياءِ لدَغَتْه نملةٌ، فأحرقَ عُشَّ النملِ، فعتَبَ اللهُ عليه، وقال: أحرقتَ أمةً تسبِّحُ، فهلا نملةً واحدةً.

وهذا بمقتضى الغضبِ البشريِّ، ولعله لم يُنْهَ عن قتلِ النملِ فقَتَلَه.

٥- السهوُ الذي جرى على نبيِّنا محمدٍ ﷺ حين صلى الظهرَ خمسًا، والعصرَ ركعتين، فالنسيانُ من صفاتِ البشرِ، علاوةً على

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن هذا السهوَ في الصلاةِ كان مِنَّةً مِنَ اللهِ وتشريعًا للأمةِ؛ لتتعلَّمَ حين تسهو في الصلاةِ كيف تصنع.

٦- الأنبياءُ يأكلون ويشربون، ويبيعون ويشترون في الأسواق، وينكِحون، ولهم أزواجٌ وذريَّةٌ كما ورد في سورةِ الفرقانِ وغيرِها.

٥- الخطأ الذي يصدُرُ من الأنبياءِ في بعض الأمورِ الدنيويةِ بِغيرِ قصدٍ: يجوزُ عليهم الخطأُ في هذه الأمورِ الدنيويةِ التي لا تتعلقُ بتشريعٍ ولا معصيةٍ، مع تمامِ عقلِهم وسدادِ رأيِهم وقوةِ بصيرتِهم، ومن ذلك:

قصةُ تأبيرِ النخلِ: فعن رافعِ بنِ خَديجٍ ﷺ قال: قدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وهم يؤُبِّرون النخلَ. يقولون: يُلقِّحون النخلَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**ما تَصْنَعُونَ؟**». قالوا: كنا نصنَعُه. قال: «**لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا**»، فتركوه، فنفضَتْ، أو قال: فنقَصَتْ، فذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**»[1].

---

[1] أخرجه مسلم (٢٣٦٢).

وتبيَّنَ من ذلك الحديثِ أن الأنبياءَ معصومون في الوحيِ والبلاغِ عن الله، أما في مِهَنِ الدنيا كالزراعةِ ونحوِها فهم يتصرَّفون بمقتضى بشريتِهم.

وسُئِلتِ اللجنةُ الدائمةُ للبحوثِ والإفتاءِ بالسعوديةِ: هل الأنبياءُ والرسُلُ يُخطِئون؟

فأجابت: نعم، الأنبياءُ يُخطِئون، ولكنَّ اللهَ لا يُقِرُّهم علي خطئِهم؛ بل يُبينُ لهم خطأَهم رحمةً بهم وبأمتِهم، ويعفو عن زلَّتِهم، ويقبلُ توبتَهم، فضلًا منه ورحمة[1].

قلت: وهذا في الصغائرِ، وما يكون بمقتضى بشريتِهم.

[1] انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الخامس
بيانُ ما نُسِبَ للأنبياءِ مما يتعلقُ بِعِصمتِهم

١ـ قال اللهُ تعالى عن آدمَ: {وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ}، وقال: {فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ} [البقرة:٣٦].

هل هذا يتنافي مع العصمةِ؟

الجواب:

١ـ كان هذا قبلَ النبوة، وهو من الصغائرِ التي يمكنُ أن تقعَ من الأنبياءِ، ولا يُقَرُّون عليها، وسَرعان ما يتوبون منها، ويتوبُ اللهُ عليهم، قال الله تعالى: {ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢} [طه: ١٢٢]، وقال: {فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧} [البقرة:٣٧]، قال الله عن آدمَ: {وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥} [طه:١١٥]؛ أي: أكل آدمُ من الشجرةِ ناسيًا من غيرِ قصدٍ ولا عمْدٍ، ومع ذلك عَدَّ ذلك ذنبًا وعصيانًا، فاستغفرَ اللهَ وتاب منه، فتاب اللهُ عليه، وغفر له، مع أن الناسيَ معذورٌ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والله جل وعلا يقول: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا}، قال سبحانه: «**قَدْ فَعَلْتُ، قَدْ فَعَلتُ**»[١].

وقال النبيُّ ﷺ: «**رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيه**»[٢]. فالناسي مرفوعٌ عنه الإثمُ.

٢- في قول اللهِ تعالى: {وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ

---

[١] أخرجه مسلم (١٢٦).

[٢] أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾} [الأنعام:٧٥-٨٠].

هل أشركَ إبراهيمُ عليه السلام وعبَدَ الكواكبَ والشمسَ والقمرَ؟

الجواب: هذا مستحيلٌ في حقِّ إبراهيمَ عليه السلام وجميعِ الأنبياءِ، وإنما قال إبراهيمُ عليه السلام ذلك لقومِه في مقام المناظرةِ والمخاصمةِ لقومِه، مِن باب التنزلِ مع الخصمِ في المناظرةِ لإقامة الحجةِ عليه، وليس لأنه اعتقدَ أن هذه المخلوقاتِ آلهةٌ تُعبَدُ.

بدليل أنه قال لهم في نهاية المناظرة: {يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾}.

٣- قول اللهِ تعالى في حقِّ إبراهيمَ عليه السلام: {وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾} [البقرة:٢٦٠].

هل إبراهيمُ عليه السلام شكَّ في قدرةِ اللهِ على إحياءِ الموتى؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجواب: أن سؤالَ إبراهيمَ ﷺ ليس شكًّا في قدرةِ اللهِ على ذلك، وإنما سؤالُه عن كيفيةِ إحياءِ الموتى؛ لأن الإيمانَ بإحياءِ الموتى يَقينيٌّ عند إبراهيمَ، والدليلُ أن إبراهيمَ ناظَرَ النُّمْرودَ وحاجَّهُ، وقال له: {رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ} [البقرة:٢٥٨].

واستدلَّ على عمومِ قدرةِ اللهِ بقولِه للنُّمْرودِ: {فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾} [البقرة:٢٥٨]، وإنما أرادَ إبراهيمُ بهذا السؤالِ أن يرتقيَ من درجةِ علمِ اليقينِ إلى درجةِ عينِ اليقينِ، كما جاء في الحديثِ: «**لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ**»[١].

قال القرطبي: «لم يكن إبراهيمُ ﷺ شاكًّا في إحياءِ اللهِ الموتى قطُّ، وإنما طلبَ المعاينةَ، وذلك أن النفوسَ مستشرفةٌ إلى رؤيةِ ما أُخبِرَتْ به»[٢].

---

[١] أخرجه أحمد (١٨٤٢).

[٢] انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولذلك قال النبيُّ محمدٌ ﷺ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ؛ إِذْ قَالَ**: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ}»[1].

ومعناه: لو كان إبراهيمُ شاكًّا لَكُنَّا نحن أحقَّ بالشكِّ منه، ونحن لا نشُكُّ، وإبراهيمُ أيضًا لا يشكُّ، فالحديثُ مَبنيٌّ على نفيِ الشكِّ عن إبراهيمَ.

٤ـ قولُ اللهِ تعالى للنبيِّ محمدٍ ﷺ:

{فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾} [يونس:٩٤]، وكذلك الآياتُ: {ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾} [البقرة:١٤٧]، {ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾} [آل عمران:٦٠]، {أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾}

---

[1] أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[الأنعام:١١٤]، {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾} [هود:١٧]، {فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾} [السجدة:٢٣].

الجواب: كلُّ هذه الآياتِ لا تدلُّ على وقوعِ الشكِّ والتردُّدِ من النبيِّ ﷺ؛ بل كلُّها في صدَدِ تأكيدِ أنه لا مجالَ للشكِّ والتردد في رسالةِ النبيِّ ﷺ، وأن القرآنَ والسُّنةَ حقٌّ وصِدقٌ من اللهِ تعالى.

٥ـ وأما حديثُ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، كُلُّهَا فِي ذَاتِ اللهِ...**»[1] فهو حديثٌ صحيحٌ أخرَجَه البخاريُّ وغيرُه.

وأما عن معنى الكذِبِ الوارِدِ فيه فليسَ الكذبَ المَنهِيَّ عنه شرعًا؛ ولكنه من بابِ التوريةِ والتنزُّلِ مع الخصمِ في بابِ المناظرةِ لإقامةِ الحُجَّةِ عليه، والنجاةِ من ظلمِ الكافِرِ الظالِمِ.

قال إبراهيمُ عليه السلام لقومِه: {إِنِّي سَقِيمٌ} حينما دَعَوْه لعبادةِ أوثانِهم والخروجِ لعيدِهم؛ أي: إني سقيمٌ عن عبادتِكم هذه.

وحينما قال لهم عند تكسيرِ الأصنامِ: {بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ

---

[1] أخرجه البخاري (٣٣٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هَذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾} [الأنبياء:٦٣]: كان هذا من بابِ إقامةِ الحجةِ عليهم لإبطالِ عبادتِهم للأصنامِ، وقد أقامَها.

وحينما قال عن سارةَ: أنها أُختُه، فهذا من بابِ التوريةِ عن الحقيقةِ للنجاةِ من كيدِ الكافرين، فهي أُختُه في الإسلامِ، قال اللهُ: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}، وقال النبيُّ ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ**»[1]، فهي أختُه في الإسلامِ حقيقةً، ولو لم يقُلْ: إنها أختُه، ولم لم تقُلْ: إنه أخوها لأخذوها واستعبدوها حسبَ النظامِ والقانونِ القائمِ ذاك الزمان.

وقد شرع اللهُ الكذبَ في ثلاثةِ مواضع: في الإصلاحِ بين المتخاصِمَينِ، وعلى الزوجةِ لإرضائِها أحيانًا، وعلى العدوِّ لتضليلِه، فإبراهيمُ عليه السلام لم يكذِب الكذِبَ المحرَّمَ، وإنما أثنى اللهُ على إبراهيمَ وقال: {وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾} [النجم:٣٧]؛ أي: وفَّى للهِ بكلِّ ما أُمِرَ به، وقال: {إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ

---

[1] أخرجه البخاري (٢٤٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾} [النحل:١٢٢].

٦- **قول اللهِ تعالى عن لوطٍ عليه السلام:** {قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾} [هود:٨٠].

وقولُ النبيِّ ﷺ في حقِّ لوطٍ: «**يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**»[1]، فهل كان لوطٌ قليلَ التوكُّلِ على اللهِ معتمِدًا كُليًّا على الأسبابِ؟

الجواب: لا؛ لأن السببَ الذي جعل لوطًا يقولُ ذلك هو أن الأنبياءَ كانوا يُبعَثون في أقوامِهم ومن أشراف الناسِ، فكان كلُّ نبيٍّ له أهلُه يكونون له سندًا يحمونه من كيدِ أعدائِه حتى وإن لم يؤمنوا به، كما قال اللهُ عن قوم شعيبٍ له: {وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ} [هود:٩١]، فكان أهلُه سَنَدًا له وحمايةً له من كَيدِ أعدائِه كما كان بنو هاشمٍ وأبو طالبٍ للنبيِّ ﷺ حمايةً وسنَدًا.

---

[1] أخرجه البخاري (٣٣٧٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما لوطٌ عليه السلام فلم يُبعَثْ في قومِه، وإنما بُعِث في مكانِ هجرتِه من أرضِ الشام، فكان غريبًا في القوم الذين بُعِث فيهم، فلم تكُنْ له عشيرةٌ، لذلك لما خشِيَ أن يوقعَ قومُه الفضيحةَ بأضيافِه تمنَّى أن لو كان بين عشيرتِه؛ ليَمنعوه، وهذا من بابِ طلبِ الأسباب، والأخذِ بالأسباب، وطلبُها من التوكلِ على اللهِ تعالى، ولما كانت هذه الأسبابُ متوفِّرةً له، فكان الأَوْلَى له أن يتمنَّى هذا التمنِّيَ، وأن يتوجَّهَ مباشَرةً إلى طلبِ العونِ والنصرِ من اللهِ وحدَه، فهو نِعمَ المولى ونعمَ النصيرُ، ولذا جاءَ دعاءُ النبيِّ ﷺ للوطٍ بالمغفرةِ والرحمةِ: «**يَغْفِرُ اللهُ لِلُوطٍ، إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**»، وقال: «**يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**»[1].

٧- **قولُ اللهِ تعالى عن نبيِّ اللهِ يوسفَ عليه السلام**: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾} [يوسف:٢٤]؛ أي: لولا أن رأى برهانَ ربِّه لَهَمَّ بها، فهو لَمْ يهِمَّ أصلًا، وذلك كقول اللهِ تعالى

---

[1] سبق تخريجه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن أمِّ موسى: {إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾} [القصص:١٠]؛ أي: لولا أن ربطنا على قلبِها لكادت أن تُبْدِيَ به.

وهذا من تقديمِ جوابِ (لولا) كما قال الكوفيون، وبعضُ أعلامِ البصريين كأبي العباس المبردِ وأبي زيدٍ الأنصاري، وهذا كما يقال: قد كنتَ من الهالِكين لولا أنَّ فلانًا خَلْفَك.

ومعنى البرهان: هو عِصمةُ اللهِ تعالى لأنبيائِه ورسلِه عن ارتكابِ الكبائرِ والفواحشِ قبلَ وبعدَ بعثتِهم، وهو العلمُ والتقوى اللذَينِ عمَّرَ اللهُ قلوبَ أنبيائِه بهما.

وقد دلَّتِ الأدلةُ الكثيرةُ على أن يوسفَ ﷺ لم يَهِمَّ بالمرأةِ أبدًا، ومن ذلك:

١- قولُ اللهِ تعالى في مدحِ يوسفَ: {كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾} [يوسف:٢٤] صرف اللهُ عنه السوءَ الذي هو مُقدِّماتُ الزِّنى، والفحشاءَ التي هي الزِّنى نفسُه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ وصفُه بأنَّه من عبادِه المخلَصين الذين استخلَصَهم اللهُ لنفسِه، واللهُ تعالى قال لإبليسَ: {إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾} [الحجر:٤٢]، وقال إبليسُ كما حكى الله تعالى: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾} [ص:٨٢-٨٣].

٣ـ قولُه تعالى: {وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ}؛ أي: جرى هاربًا منها، ولم يهِمَّ بها، فَجَرَتْ وراءَه وأمسكتْ بقميصِه تجذِبُه إليها، وهو يفِرُّ و يجري بسرعةٍ، فَقُدَّ القميصُ، وقُطِعَ من قوةِ الجري منه وشدةِ الجذبِ منها، فيوسفُ جرى من الفاحشةِ ولم يهِمَّ بها.

٤ـ ردُّ يوسفَ عن نفسِه: {قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى}؛ أي: أنا لم أُراوِدْها، ولم أهِمَّ بها؛ ولكنها هي التي تريدُ وأنا أفرُّ مِنها.

٥ـ شهادةُ الشاهدِ من أهلِها في قولِه تعالى: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾} [يوسف:٢٦-٢٨] وهذا فاصِلٌ في القضية.

٦ـ اعترافُ المرأةِ أمامَ النِّسوة حين قالت: {وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ}، فهي التي راودت، وهو استعصَمَ، ولم يَهِمَّ ولم يُبدِ أيَّ علامةٍ للرضا.

٧ـ قولُ الزوجِ أو الشاهدِ: {إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾} [يوسف:٢٨-٢٩]، فهى صاحبةُ المكيدة وهي المذنبة، وليس يوسفَ عليه السلام.

٨ـ رفضُ يوسفَ الخروجَ من السجنِ لمَّا أرادَه الملِكُ حتى تظهرَ براءتُه على الملأ.

٩ـ شهادةُ النسوةِ بعِفَّةِ يوسفَ وبراءتِه من التُّهَم: {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ} [يوسف:٥١].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠ـ اعترافُ وشهادةُ امرأةِ العزيزِ وإقرارُها على نفسِها بالتهمةِ وعلى يوسُفَ بكمالِ العفةِ: {قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١} [يوسف:٥١].

٨ـ **قولُ اللهِ تعالى عن داودَ عليه السلام**: {وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ٢٤} [ص:٢٤]:

كانت فتنةُ داودَ عليه السلام أنه سمع القضيةَ من أحدِ الخَصمينِ، واستعطَفَه بقولِه: {إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣} [ص:٢٣]، فتعجَّلَ نبيُّ اللهِ عليه السلام بالحكمِ في القضيةِ قبل أن يستمعَ إلى الطرفِ الآخَرِ، فأيقنَ أنه ابتُلِيَ بذلك، فاستغفَرَ ربَّه، وخرَّ ساجدًا للهِ تعالى سجدةَ توبةٍ وإنابةٍ، فغفرَ اللهُ له، وبيَّنَ أن له عند اللهِ زلفى وحسنَ مآبٍ.

وأما ما ورد من الإسرائيلياتِ في ذلك، فلا يجوزُ تصديقُها، ولا ترديدُها إلا على سبيلِ تكذيبِها والتحذيرِ منها، فالأنبياءُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معصومون عن الفواحشِ كلِّها، ولا يجوزُ تفسيرُ القرآنِ الذي هو يقينيُّ الثبوتِ والحُجَّةِ بإسرائيلياتٍ أخبر اللهُ أنها مما كتبه اليهودُ والنصارى بأيديهم، وكذبوا بها على اللهِ تعالى.

٩ـ قولُ اللهِ تعالى في سليمان عليه السلام: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾} [ص:٣٤-٣٥]:

فتنةُ سليمانَ عليه السلام التي استغفرَ منها هي التي وردت في حديثِ أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِئَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ**»[1].

---

[1] أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم(١٦٥٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهذا الجسدُ الذي أُلقِيَ على كرسيِّ سليمانَ عليه السلام هو هذا المولودُ ناقصُ الخِلقةِ؛ حيثُ حَرَمَ اللهُ سليمانَ مِن مرادِه؛ بسببِ أنه لم يقُلْ: إن شاء الله، فاستغفَرَ سليمانُ ربَّه، ودعا اللهَ عز وجل أن يخلفَ عليه بمُلكٍ عظيمٍ يستطيعُ مِن خلالِه إقامةَ الدينِ ونشرَ الإسلامِ بتمكينِه في الأرضِ بهذا الملك، فأعطاه اللهُ إياه.

وبحكمِ بشريةِ الأنبياءِ يجري عليهم ما يجري على البشرِ من النسيانِ في بعضِ الأمور، والتي تكونُ مِنَّةً مِنَ اللهِ على الأمةِ؛ لتكونَ تشريعًا لهم ليأخذوا منها الفائدةَ والعِبرةَ والعِظةَ.

١٠ـ قتلُ موسى عليه السلام للقبطيِّ: هل يتناقَضُ مع العِصمةِ؟

قال الله تعالى: {فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾} [القصص:١٥-١٦]، وقال موسى: {وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾} [الشعراء:١٤]، وقال لفرعون: {قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾}

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[الشعراء: ٢٠].

ويجابُ عن ذلك بالآتي:

١ـ أن قتلَ القبطيِّ لم يكن عن عمدٍ؛ بل كان عن خطأ وإحسانٍ، فالإحسانُ لأن موسى يحولُ بين اثنينِ يتشاجران، وهذا عملٌ جليلٌ، والخطأ أن موسى لم يتعَمَّدِ القتلَ، والوكزةُ في الأصلِ لا تقتلُ، والجنايةُ والإثمُ لا يتحققُ إلا بالعمد، والمخطئُ معفوٌّ عنه شرعًا، قال اللهُ تعالى: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥} [الأحزاب:٥]، وقال: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ}، قال الله: «**قَدْ فَعَلْتُ**»[1].

٢ـ وأما قول موسى ﷺ: {وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤}: فهو ذنبٌ بالنسبةِ لوجهةِ نظرِ الفراعنةِ؛ أي: يعتبِرونني قاتلًا

---

[1] سبق تخريجه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُذنِبًا، وأخافُ أن يقتلوني قصاصًا، ومن المعلومِ أن القتلَ الخطأَ ليس فيه القِصاصُ في كلِّ الشرائعِ.

٣ـ قولُ موسى لفرعون: {فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾} [الشعراء:٢٠]؛ قالها مجاراةً للفراعنةِ؛ أي: على فرضِ وتقديرِ أنني كنتُ ضالًّا آنذاكَ، والآنَ قد هداني اللهُ وأرسلني إليكم بهذه البراهينِ، فموسى ﷺ لم يتعمَّدْ مخالفةَ أمرٍ إلهيٍّ أو الوقوعَ في المعصية.

١١ـ وأما قوله تعالى: {وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾} [ص:٤١]: فإنها تشيرُ إلى المتاعبِ والتحدياتِ التي واجهت أيوبَ ﷺ من قِبَلِ الشيطان، وليس فيها أيُّ دلالةٍ على مخالفتِه الأوامرَ والنواهيَ الإلهيةَ.

وأيضًا من بابِ الأدبِ في الخطابِ مع الله، فلم يقل: إنك مَسِسْتَني بِنُصْبٍ وعذابٍ، وإنما نسَبَ الشرَّ إلى الشيطانِ تأدُّبًا مع الله، كما قال الخضرُ ﷺ عن السفينة: {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا}، ونسَبَ العيبَ إلى نفسِه تأدُّبًا مع اللهِ، مع أنَّ اللهَ تعالى هو الذي أمرَه بذلك، وكما قال إبراهيمُ ﷺ: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾}

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[الشعراء:٨٠]، نسَبَ المرضَ لنفسِه والشفاءَ لله تأدُّبًا مع الله، مع أن المرضَ والشفاءَ بيدِ الإله وحدَه.

وكما قال النبيُّ محمدٍ ﷺ في ثنائِه على ربِّه: «**والخيرُ كلُّهُ بِيَدَيْكَ، والشَّرُّ ليسَ إليكَ**»[1]؛ تأدُّبًا مع الله، مع أن اللهَ تعالى خالقُ كلِّ شيءٍ.

١٢- وأما آية الحج: {أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ} [الحج: ٥٢]؛ فمعناها: في قراءتِه، فالشيطانُ يحاولُ أن يلقيَ عليهم مِنْ وساوسِه ومكائدِه؛ ولكنَّ اللهَ تعالى عاصمُهم وعاصمُ بلاغِهم عن اللهِ، فيبطلُ اللهُ ويُذهِبُ كيدَ الشيطان، ولا يكونُ له سلطانٌ على الأنبياءِ والرسلِ ولا على ما يبلغونه عن اللهِ تعالى، ويُحكِمُ اللهُ آيتَه؛ أي: يحفظُها وتبقى خالصةً من ألاعيبِ الشيطانِ.

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلِّم!

آمينَ آمينَ!

---

[1] أخرجه مسلم (٧٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
تمهيد	٥
المبحث الأول: عصمة النبي محمد ﷺ	٩
شهادة المشركين من قريش والعرب له بالعِصمة من الكذب والخيانة	٩
شهادةُ زوجِه خديجةَ ﵂ له بمكارمِ الخيرِ كلِّها	١٠
عصمة الله له قبلَ بعثتِه من حضور مجالس اللغو والمعاصي أو التعري وكشف العورات ونحو ذلك	١٢
عصمة الله له من أكل الميتة وما ذبح على النُّصُب لغير الله	١٤
بغضُه ﷺ لعبادةِ الأوثانِ والحلفِ بِها	١٥
عصمة الله له بِشَقِّ صدرِه وهو صغيرٌ	١٦
عصَمَه اللهُ تعالى بكمالِ أخلاقِه ﷺ وكمالِ عقلِهِ	١٨
المبحث الثاني: مسائل حول عصمة النبي محمد ﷺ	٣٥
ما معنى الضلالِ المنسوبِ للنبيِّ ﷺ في القرآنِ الكريم؟	٣٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هل النبيُّ محمدٌ ﷺ كان من الغافلين؟ ٤٠
هل كان للنبيِّ محمدٍ ﷺ ذنوبٌ لكي يستغفرَ منها ٤١
المبحث الثالث: آيات العتاب التي ورَدتْ في القرآن في حقِّ النبي ﷺ ٥٨
المبحث الرابع: عصمةُ الأنبياءِ من خلال القرآنِ والسُّنَّة ٧٨
المبحث الخامس: بيانُ ما نُسِبَ للأنبياءِ مما يتعلقُ بِعِصمتِهم ٨٥